اللغة العربية

كائن حي

تأليف
جرجي زيدان

مراجعة
الدكتور مراد كامل



تاليف

جرجي زيدان

دار الهلال

كلمة دار الهلال

يسر دار الهلال أن تقدم الى جمهور العلماء والأدباء والباحثين فى فقه اللغة العربية وتاريخ المصطلحات العلمية ، هذه الطبعة الجديدة من كتاب « تاريخ اللغة العربيـة : باعتبـار انها كائن حى نام ، خاضع لنـاموس الارتقاء » . والكتاب يتضمن بحثا فلسفيا تاريخيا فيما طرأ على ألفـاظ اللغة العربية وتراكيبها من الدثور ، أو التجدد ، مع ايراد الأمثلة مما دثر منها ، أو تولد فيها ، أو اقتبسته من سواها ، وبيان الأسباب التى دعت الى دثور القديم ، وتولد الجديد

***

وانها لأمنية طالما صبونا الى تحقيقها .. وقد حفزنا الآن ما رأيناه من الاتجاه فى جميع الدوائر العربية العلميـة والأدبية والفنية والثقافية الى التوصية بالمزيد من العناية لايجاد المصطلحات العلمية والفنية ، وتوحيدها فى البلاد العربية وحث أهل الاختصاص ورجال العلم والأدب فى البـلاد العربية لزيادة التعاون فيما بينهم ..

ولهذا كان كتاب جرجى زيدان وهو فى طليعة ما ألف فى هـذا الباب فى حاجة الى مراجعة دقيقة لكى يتضمن أحدث ما توصل اليه الباحثون وما اتّفه أهل الاختصاص فى هذا الباب الذى يعد أساس النهضة العلمية الحديثة

وقد قبل مشكورا ، الدكتور مراد كامل أستاذ اللغات السامية بكلية الآداب بجامعة القاهرة القيام بهذه المهمة ، كما سبق أن تفضل فراجع وعلّق على كتاب « الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية »

تقديم الكتاب

اللغة ، هى نتيجة عمل عقلى ، قامت به أجيال متوالية من النـــاس . واللغة من شأنها أن تسير فى طريق الاصلاح المستمر ، فهى فى حركة دائبة دائمة نحو غاية مثالية

يقول علمـــاء اللغة ، ان اللغة فى تقدم ، ولا يقصد علمـــاء اللغة من المحدثين من ذلك ، ما يذهب اليه مؤرخو الأدب الذين يعتبرون التقدم فى الأدب دينا ومذهبا ، يصعد نحو الكمال أو ينحدر الى الانحلال

والرأى الســـائد فى دراسة الأدب : ان الفن أو الذوق بعد أن يصل الى درجة كماله ، يأخذ فى الانحدار والفساد

وقد طبق علماء اللغة ، فى القرن الماضى ، هـــذا الرأى على الدراسة اللغوية ، فزعموا ان اللغة تصـــل الى نقطة الكمال ، ثم تسير فى طريق الاضمحلال . وهذا الزعم فى دراسة اللغة القديمة ، هو خلط بين اللغة الأدبية ، وبين اللغة التى يتكلمها الناس ، والتى تتغير مع الزمن . وزعموا ان ثمة لغة كاملة ذات اطراد مطلق ، كانت توجد فى العصر « البدائى » ، وانه لما كان التغير والتطور من قوانين اللغة ، أبعدها هـــذا التطور عن مثلها الأعلى البدائى . وهم يعتبرون هذا التطور تحريفا وفسادا للغة . وقالوا : ان لغاتنا الحديثة ما هى الا « من فتات نخره السوس » على حد تعبير أحد أصحاب هذا المذهب ، هو « شليشر » الألمانى ، فى كتابه « مباحث الموازنة اللغوية » ، أى ان اللغة كلما كانت قريبـــة منا زادت هلهلتها ، وكلما تقادم عهدها عظم احترامها . وقال أيضا : « ان التاريخ عدو اللغة » ومعنى هـــذا انه جعل من اللغة عدوا للحياة التى تغذيها . والواقع ان افتراض وجود لغة كاملة فى عصر ما قبل التاريخ ، لا يقوم الا فى الخيال

وذهبت طائفة من علماء اللغة ، ويمثلهم « أوتويسبرسن » فى كتابه

« التقدم فى اللغة » بأن للتغيير فى اللغة مزايا عديدة ، وأن المثل الأعلى للغة فى مستقبلها ، لا فى ماضيها . ويرى هؤلاء العلماء ، أن أكمل اللغات هى تلك التى قطعت فى التطور أطول شوط . وهى وجهة نظر مخالفة للرأى الأول تمام المخالفة

***

انه لايمكن أن نذهب بحال من الأحوال ، الى أن اللغات القديمة تقل شأنا عن اللغات الحديثة ، وانه من العبث أن نبحث عن المثل الأعلى للكمال اللغوى فى نوع من اللغات دون سواه . فما قصرت لغة عن خدمة من لديه فكرة يريد التعبير عنها .. والمؤلف أو الكاتب الذى يحمّل لغته مسئولية ما يشعر به من نقص فى كتاباته ، هو مؤلف عاجز ، وهو المسئول الأول عن هذا النقص . فقد يكون من حسن حظ الكاتب أن يجد أمامه طريقا معبدا وتقاليد يسير عليها ، وأن يستخدم لغة ، عمل على تجهيزها وصقلها قبله عدد من الكتاب المتتابعين ، ولكن الأمر لايعدو أن يكون الاختلاف فى درجة الصعوبة

***

يقول ديكارت فى كتابه « حديث المنهج » : « ان من حَسَّن تفكيره ، وهضم أفكاره حتى يجعلها واضحة مفهومة ، يستطيع أكثر من غيره ، أن يفهم الآخرين آراءه ، ولو لم يتكلم غير البريتانية السفلى » . والمسئولية لا تقف عند موهبة الكاتب فحسب ، بل يجب أن نراعى الوسط الذى يعيش فيه . فالمتكلم يتكلم حتى يُسمع ، والكاتب يكتب حتى يُقرأ . فلزم أن يجد الكاتب له جمهورا على درجة من الثقافة تسمح له بفهمه . وقال بوفون : « لم نصل الى الكلام الجدى ، والكتابة الجدية ، الا بعد العصور المستنيرة » . فطاقة اللغة تتوقف على عدد الذين يمارسونها وعلى درجة تعلمهم . قال الدكتور طه حسين فى « مستقبل الثقافة » ، وهو يتحدث عن التفكير : « فهو الأداة الطبيعية التى نصطنعها فى كل يوم بل فى كل لحظة ليفهم بعضنا بعضا ، وليعاون بعضنا بعضا على تحقيق حاجاتنا

العاجلة والآجلة ، وعلى تحقيق منافعنا الخاصة والعامة ، وعلى تحقيق مهمتنا الفردية والاجتماعية فى الحياة — ان كانت لنا مهمة فى الحياة — ونحن نصطنع هذه الأداة ليفهم بعضنا بعضا — كما قلنا ، ولنفهم أنفسنا أيضا . فنحن انما نشعر بوجودنا وبحاجاتنا المختلفة وعواطفنا المتباينة وميولنا المتناقضة حين نفكر . ومعنى ذلك أننا لا نفهم أنفسنا الا بالتفكير، ونحن لا نفكر فى الهواء ولا نستطيع أن نعرض الأشياء على أنفسنا الا مصورة فى هذه الألفاظ التى نقدرها ، وندبرها فى رءوسنا ونظهر منها للناس مانريد ، ونحتفظ منها لأنفسنا بما نريد . فنحن نفكر باللغة ، ونحن لا نغلو اذا قلنا انها ليست أداة للتعامل والتعاون الاجتماعيين فحسب ، وانما هى أداة للتفكير والحس والشعور بالقياس الى الأفراد من حيث هم أفراد أيضا »

***

ولا يصح أن نقيم حسابا لقيمة اللغات من الناحية الجمالية أو النفعية ، اذا تحدثنا عن تقدم اللغة .. فان موهبــة المؤلفين تستطيع فى فترة من النشاط الأدبى القوى ، والرخاء الوطنى ، والسيادة السياسية ، أن تخلع على اللغة درجة من الكمال ، تكاد تكون مطلقة . وفى حديثنا عن تقدم اللغة ، لا نعير اهتمامنا الى مثل هذا الكمال المؤقت ، والذى قد تصادفه هذه اللغة أو تلك . وان فكرة الكمال ، بعيدة عن تقدير التقدم ، حتى اننا لا نستطيع أن نبررها ، اذا أردنا تطبيقها على جزء واحد من أجزاء اللغة : مثل الأصوات فى اللغة ، أو الصور النحوية ، أو النظام الصرفى.

ويلاحظ انه لايوجـد فى الميـدان اللغوى كسب دائم من التجديد ، يوفر للغة التى تحصل عليه ثراء نهائيا ، فكل تجديد لغوى لايمكن أن يكون الا ضئيلا . والربح المكتسب عرض زائل فى كل الأحوال ، وكثيرا ما تقابله خسائر من ناحية أخرى . والخسائر لايمكن أن نفسرها بافتراض التقدم .. فان كل تغير يقع على اللغة لايصيب الا جزئيــة من جزئياتها ، وليس له فى ذاته أثر عام . واللغة لا تستطيع أن تصل بتطورها الطبيعى

الى الكمال المنطقى ، الذى يمنح منحا اراديا للغات قد وضعت وضعا صناعيا . ويعتمد التطور اللغوى اعتمادا وثيقا على الظروف التاريخية ، فبين التطور اللغوى والظروف الاجتماعية التى تتطور فيها اللغة صلة وثيقة .. فان تطور المجتمع يستتبع تطور اللغة فى طريق معينة

***

ومن الملاحظ أن تطور اللغة يزداد سرعة ، بازدياد انتشارها فى خارج المنطقة التى نشأت فيها ، وبازدياد عدد الناس الذين يتكلمونها ، وتنوعهم . وان انتشار اللغة فى أقاليم تحتك فيها بلغات أخرى يعرضها لأن تفقد خصائصها الموغلة فى الذاتية ، كما يؤدى بها التأثير الذى يقع عليها من الخارج الى التغير السريع

واذا حملت اللغة بعيدا عن موطنها ، فان ذلك يساعد الاتجاهات الكامنة فيها ، على التفتح بصورة أسرع وأكمل ، مما لو بقيت فى مكانها . فاللغات التى لا تنتقل ، تعد لغات محافظة ، واللغات التى لا تنتشر الا فى منطقة محدودة ، بعيدة عن اختلاط الأجناس ، وعن ملتقى طرق التجارة والمواصلات ، نجدها ــ فى الأغلب ــ ذات طابع حوشى واضح

ويؤثر الموطن أيضا على تطور اللغة .. فالسكان ، اذا كانوا متفرقين ، ساعد ذلك على انقسام اللغة الى لهجات . أما اذا كانوا يعيشون متجمعين ، فان هذا يساعد على خلق لغة مشتركة ، وهى درجة تتوسط لغات الطبقات الاجتماعية المختلفة ، التى يضمها مكان التجمع . فتطور اللغة لايعوقه التأثير الاجتماعى ، أو يعجل به ، بل يعين اتجاه هذا التطور ومداه .

***

والعوامل الاجتماعية توجه نشاطنا العقلى .. فتاريخ اللغة ، اذا كان يشمل فترة طويلة من الزمن ، يسمح لنا بأن تتبين تأثير التطور الاجتماعى على عقلية الناس .. فاللغة تتجه نحو التخلص من الخصائص الغيبية لتسير

فى سـبيل العقلية ، ونحو نبـذ التعبير عن الأفكار المشخصة لترقى الى التجديد

***

وان دراسة لغات البدائيين تؤكد هذه الملاحظة المستخرجة من التاريخ . فلغات البدائيين ، تقدم لنا حالة لغوية لايكاد يكون فيها نصيب لما نسميه بالمدنية . ونجدها مليئة بالفصائل المشخصة والخاصة ، وهى بذلك تختلف عن لغات المتحضرين ، التى تسير فيها الفصـائل دائما ، نحو التـدريج والتعميم . فالبدائى يعبر بدقة عن كثير من التفاصيل المـادية التى تغيب عنا ، وهو يعير الاعتبارات المكانية التفاتا يفوق ما نعيره الى الاعتبارات الزمنية .. فان الحديث يـمَـثّل فى ذهنه محصورا بحيّز. ويقول «برول» فى كتابه « العوامل العقلية فى المجتمع البدائى » : « ان الروابط المكانية التى بين الأشخاص والأشياء يعبر عنها البدائى فى لغته بفصائل خاصة ، مثل الروابط الزمنية أو أكثر منها » . والزمن أرفع من المكان فى مرتبة التجديد . ونلاحظ انه نتيجة للمدنية مثلا ، أننا نسقط من نظامنا الصرفى فكرة الحيز المشخصـة ، ونقبـل على التعبير عن فكرة الزمن المجردة . فالطريقة التى تتلاشى بها الفصائل التشخيصية من اللغات ، تؤكد أهمية الدور الذى تلعبه المدنية . ولا يحول ضعف التشخيص دون التعقيـد النحوى ، كما انه ليست هناك صلة بين طبيعة أطوار النفس ، وبين ما فى الفصائل النحوية من تعقيد . وتختلف العمليات النفسية التى تعد العدة للغة ، عن الظروف النحوية التى تتكون فيها اللغة . وتعتمد الفصائل النحوية على الذاكرة ، والذاكرة نامية عند البدائيين ، نموا فرضته عليهم ضرورات الحياة .. فنشاطهم العقلى لا تعاونه الطرق العديدة التى تحل فى يسر محل الذاكرة عند المتحضرين ، وتورثها الكسل

ان ظاهرة سـير اللغة نحو التجديد مرتبطة بتطور الحضارة ، فاللغة انعكاس للضمير البشرى ، وهى تعرفنا صورة النفس التى تحملها .. ونفس الانسان المتحضر أكثر قابلية للتجديد من نفس الانسان البدائى ، لأن

ظروف الحياة لدى المتحضر : توجه العقل الى الاعتبارات المجردة على حساب كل ما هو مشخص

والتقدم اللغوى بالمعنى المطلق لا سبيل اليه ، كما انه لا سبيل الى التقدم المطلق فى الأخلاق أو فى السياسة .. فان هناك بعض الأوضاع التى تتعاقب ، وتسيطر بعض قوانين عامة فى كل وضع منها ، وهذه القوانين يفرضها توازن القوى القائمة . وهذا هو عين ما يصيب اللغة

واننا نلمس فى تاريخ اللغة بعض تقدم نسبى : فهناك لغات تتلاءم مع بعض حالات الحضارة . ثم يتكون التقدم من أن اللغة تتلاءم وحاجات المتكلمين بها على خير وجه . ومهما يكن هذا التقدم حقيقيا ، فانه لن يكون نهائيا اطلاقا

***

ان صفات لغة من اللغات تظل قائمة ، طالما احتفظ أهلها بنفس عاداتهم فى التفكير ، وألا تصبح هذه الصفات معرضة للفساد والاندثار والضياع

ومن الخطأ أن نعتبر اللغة كائنا مثاليا ، تتطور مستقلة عن البشر ، وتتبع أغراضها الخاصة بها . ان اللغة لاتوجد خارج أهلها الذين يفكرون بها ، ويتكلمون بها . فان جذورها متأصلة فى أعماق الضمير الفردى ، حيث تستمد قوتها لتورق وتزدهر على شفاه الناس . والضمير الفردى هو عنصر من عناصر الضمير الجماعى الذى يفرض قوانينه على كل فرد . فاللغة ظاهرة اجتماعية تنشأ كما ينشأ غيرها من الظواهر الاجتماعية ، فتخلقها فى صورة تلقائية طبيعة الاجتماع ، وتنبعث عن الحياة الجمعية ، وما تقتضيه هذه الحياة من شئون . وليس تطور اللغة الا مظهرا من مظاهر تطور الجماعة ، لا نسير فيه فى طريق متصل نحو غاية محددة

واذا نظرنا الى اللغة العربية ، ورجعنا الى ما وفق اليه علماء العرب والمستشرقون من الكشف عن اللغة العربية ، لوجدنا فى ذلك نقصا ، ولمسنا الحاجة الى مزيد من البحث والدرس ، لاستكمال هذا النقص وسد تلك الثغرة

والكشف عن اللغة ، يحتاج أولا الى الجمع والوصف ، ثم الى التحليل والتعليل والتأليف . وقد نجح اللغويون والنحويون قديما ، فى جمع مواد اللغة العربيـة ووصفها ، وتوصلوا الى تدوين أكثر ما جاء فى النثر وفى الشعر . وكان نجاحهم فى الصرف والنحو ، أكثر منه فى مفردات اللغة . وحاول المستشرقون أن يسدوا هـذا النقص ، ولـكن كان توفيقهم فى الصرف والنحو أكثر منه فى مفردات اللغة أيضـا . والسبب فى ذلك ان دراسة المفردات والبحث فيها أوسع بكثير من دراسة النحو : فعدد الألفاظ يربو كثيرا عن عدد أشكال البنـاء والتراكيب المعروفة ، ومفردات اللغة تعددت وتنوعت ودخلها التغيير ، أكثر مما نجده فى الصرف والنحو . ونجد فى اللهجات القديمة تخالفا فى بعض أبنيـة الأسماء والأفعـال وتركيبات الجملة ، ولكن ذلك نادر قليل الحدوث ، ولم يكد يبقى منه أثر فى اللغة الفصحى ، التى شـاعت فى القرون الأولى بعد الهجرة . أما فى المفردات فاننا نجد اللهجات القديمة قد تخالفت فى بعض الألفاظ والعبارات تخالفا شديدا ، وظل أكثر هذا التخالف شائعا لدى شعراء وكتاب من المتأخرين ونجدهم مع ذلك قد اضطروا الى ابتكار كلمات جديدة لتسمية الأشياء والمعانى الجديدة ، والتى لم ترها العرب قبـل الفتح الاسلامى ، والتى استلزمتها ظروف الحياة الجديدة . وتطور المفردات فى اللغة العربيـة لايزال مسـتمرا الى اليوم . وقد مرت على حياة اللغة العربيـة أطوار ، أخذت فيها من الألفاظ الدخيـلة أو المولدة بحسب حاجتها ، وبحسب الظروف التى تعرضت لها .

***

وقد صادفت اللغة العربية عهودا كان فيها أهلها يعتزون بلغتهم العربية ، وظهر من بينهم من دفعته قوميتـه الى أن يتخذ موقفا عدائيا نحو ما فى العربية من كلمات دخيلة . وتشتد هذه المواقف العدائية حين ينشب صراع بين العرب وبين أصحاب الكلم الدخيل مثل ما حدث مع الترك ، ومع الفرنسيين ، والانجليز أخيرا . ولم تقتصر هذه المواقف العدائية على كره

الدخيل أو محاولة التقليل من استخدامه ، بل امتدت الى التطهير الواعى للغة العربية منه

وقد أثر الوعى القومى فى السنوات الأخيرة على الاتجاه فى مصطلحات اللغة ، فنفر أصحابها من الدخيل الأوربى ، ونظموا أنفسهم فى شكل مجامع أو لجان ، أو أفراد للقيام بوضع مصطلحات عربية فى شتى الفنون والعلوم لتحل محل الدخيل أو لتعوض نقصا ، فرأينا كلمات جديدة قد ابتكرت ، وكلمات قديمة ألبست معنى جديدا . وقد أمدت هذه النهضة العلوم والفنون المختلفة بثروة من المصطلحات ، حتى أصبحت لغة كل من هذه الفنون والعلوم أشبه شىء بلغة مستقلة ، وفى هذا كسب عظيم للغة جعلها تساير النهضة العلمية الحديثة

***

واللغة العربية ينقصها موسوعة تضم كل عناصر اللغة ، وتدون تطورها على مر العصور ، وكل أنواع الأساليب فيها ، وتأتى بشواهد لكل منها تبين النادر أو الكثير الورود ، وتبين العام منها والخاص فى النثر أو فى الشعر أو بنوع منهما ، وتبين الخاص منها بعصر من عصور تاريخ اللغة ، الى غير ذلك

وقد سلك العلماء فى تدوين النحو والصرف وبخاصة أحوال الجملة ، على هذا النهج تقريبا . أما المفردات فليس هناك الى الآن قاموس عربى يفى بحاجتنا منها ، أو يكاد . فالمعاجم العربية القديمة لاتأتى بالشاهد الا للنادر الغريب ، وهى تهمل عن قصد المنثور وما جاء فى كتابات المتأخرين

وعلى الرغم مما بذله العلماء العرب فى درس اللغة العربيـة من حيث الصرف والنحو ، فانهم قصروا فى توجيه العناية الكافية بالمفردات والكشف عن تطور اللغة بعد الاسلام

والسبب فى هذا يرجع الى السؤال عن الجائز فى اللغة وعدمه ، وقد دعاهم ذلك الى الامتناع عن تدوين كثير من المفردات والعبارات . وهذا فى الواقع عمل المعلم الذى يدون ما كان ينبغى أن يكون عليه اللفظ أو

العبارة ، لا عمل العالم الذى يبحث عما يكون عليه فى الواقع . ويظن المعلم أن تعاليمه أقوى من الحياة وأبقى ، والحقيقة انه رغم اجتهاده ، لن يقهر حياة اللغة ويعوقها عن التقدم . فاللغة تسير قدما ، وتتسع الشقة بين اللغة الحية فى حقيقتها ، وبين ما يعلّمه النحوى ؛ وذلك ما نشاهده فى تاريخ اللغة العربية . ويحاول النحويون الرجوع باللغة الفصحى ، الى ما كانت عليه فى أول أمرها قبيل الاسلام وأيام الأمويين ، والحيلولة بينها وبين مواصلة النمو والتطور والتنوع ، وبهذا يريدون أن يبتعدوا باللغة الفصحى عن الحياة النابضة الزاخرة . ونحن ننافق اللغة ، ونخدعها عن نفسها حين نخلع عليها قداسة زائفة ، تجمد بها عن التطور ، وتعوقها عن الانطلاق ، وحينما نلقنها لهذا الجيل وللأجيال المقبلة بوضعها المتحجر ، ونحذرهم أن يتجاوزوا حدودها ، لأننا نجبرهم بطريق غير مباشر ، على أن يهربوا منها ، ويتركوها الى لغتهم التى تخدم حاجاتهم خدمة مباشرة ، ما دامت معبرة سريعة ، بدل أن تستبد بهم لغة صارمة عنيدة ، تسد عليهم مسالك الحياة ، فلا تنطلق بهم ، ولا تدعهم ينطلقون

***

وسبب آخر فى تقصير علماء العرب عن العناية بالمفردات ، انهم اعتقدوا بأن أكمل ما كانت عليه اللغة العربية وأحسنه وأكثره اتقانا ، ما يوجد فى الشعر القديم . وهذا الحكم لايتفق والعلم .. فان ما ذهبوا اليه بأن لغة البدو قبل الاسلام ، وفى فجره ، كانت أكمل وأحسن من اللغة العربية المستخدمة فى المدن فى الزمان المتأخر ، يمازجه الذوق الشخصى وينقصه البرهان العلمى الصحيح . أما اذا قيدنا الاطلاق بذكر الأغراض المقصودة بالكلام على اختلافها ، فاننا نجد لغة البدو القديمة قصرت فى بعض تلك الأغراض عن لغة المتأخرين .. لقد برعت لغة البدو فى أداء وصف مناحى حياتهم ، وكل ما يخصهم ويهمهم فى ايجاز وقوة وحيوية .: ولكنها لا تفى بحاجة المتمدنين فى نواحيهم الفكرية والدينية والفلسفية والعلمية وغيرها

فنرى ان دراسة المفردات فى العربية لم تخرج عن الجمع والوصف

والتدوين الى الآن ، وقد قصر العلماء أن يصلوا بها الى التحليل والتعليل.
ومهمة العالم اللغوى بعد أن يحصر الألفاظ ويجمعها ، أن يبحث كل كلمة على حدة : عن أصلها واشتقاقها ، وعن درجة قدمها ، وعن وجودها فى اللغة العربية وحدها أو اشتراكها فيها مع أخواتها من اللغات السامية كلها أو بعضها ، وعن مصدرها : اذا كانت دخيلة ، أو مبتكرة ومولدة ، ومن أية لغة دخلت — اذا كانت دخيلة — وعن زمن ابتكارها أو زمن استعارتها ، وعن تغير شكلها أو معناها ، واذا كانت اللفظة قد زالت من الاستعمال تَتَبَّعنا زمن زوالها .. وبهذا يكون لكل كلمة فى اللغة تاريخ ، وترجمة لحياتها ، ويتكون المعجم من هذه الكلمات وتواريخها

ومهمة العالم اللغوى ، بعد ذلك ، أن يؤلف بين الكلمات المفردة ، ويرتبها على أصولها ، ويجمع بين كل ما يرتقى الى أصول اللسان ، ثم يضم اليه ما ابتكر فى الزمن المتأخر ، أو استعير من لغة أخرى ، ثم يبحث عن موقف كل طبقة فى التاريخ ، وبخاصة تاريخ الحضارة والتمدن والتطور الفكرى والأدبى . ومن هذا كله يستخرج الأسباب التى دعت الى ابتكار كلمة جديدة ، أو استعارة كلمة دخيلة

***

وبعد هذا التتبع التاريخى يبحث فى مفردات اللغة من الناحية الاجتماعية ، ويبين العام منها ، والخاص بطبقة من الناس ، وما اصطلحوا عليه فيما بينهم . ثم يميز الاستعمالات المختلفة للألفاظ : فى النثر ، وفى الشعر ، فى الاستعمال العادى أو الفنى أو العلمى ، وفى الاستعمال الراقى والمبتذل .

وعليه أن يؤلف بين الكلمات من ناحية المعنى ، وهذا ما أطلق عليه العلماء العرب قديما : فقه اللغة .. عنى علماء اللغة قديما بجمع الألفاظ التى ترجع الى الخيل مثلا ، وبينوا معانيها ، وفرقوا بين المعانى المختلفة ، ولكنهم سلكوا فى هذا مسلكا عكسيا : فقد اعتمدوا على الكلمات ثم شرحوا معانيها ، وكان الأجدر بهم أن يبدأوا بالمسميات ، ثم يبحثون

كيفية تسميتها ، لأن الشيء أقدم من اسمه بطبيعة الحال . يقول ميرون المثال اليونانى : « لايجب استنباط الأشياء من الكلمات ، بل الكلمات من الأشياء » . ولهذا نرى ان المتكلمين اذا عثروا على شيء جديد ، لا علم لهم سابق به ، اضطروا الى تسميته ، فاما أن يستعينوا على ذلك بكلمة موجودة يقارب مدلولها المعنى الجديد فيطلقونها عليه ، واما أن يستعيروا كلمة أجنبية ، وبخاصة اذا كان المسمى أجنبيا أتاهم من خارج بلادهم ومعه اسمه . وعلى ذلك يكون تغير المعانى ، اما بدون تغير فى الأشياء الموسومة بالكلمات ، واما بتغير الأشياء وظهور أشياء جديدة . ولهذا فان دراسة تغير معانى الكلمات لازمة فى دراسة المفردات ، واللفظ لايمكن اختياره ليطلق على معنى من المعانى ، ما لم يحدد هذا المعنى تحديدا دقيقا بقدر المستطاع .. وتغير الأصوات والأبنية والتركيبات لازمة أيضا لدراسة التطور النحوى ، والبحث عن قوانينه فى دراسة علم اللغة

***

ومن هذا نرى ان النقص فى دراسة تاريخ اللغة العربية واضح ، اذا وازنا بين ما تناولته كتب اللغة فى الواقع ، وبين ما كان يجب أن تتناوله

ويتبع النقص فى دراسة المفردات ما تعانيه اللغة العربية من نقص فى المصطلحات العلمية فى مختلف فروع الفنون والعلوم . واللغة العربية تواجه مشكلة ايجاد مصطلحات علمية باللغة العربية ، ويستلزم هذا مجهودا شاقا من المختص ، أعفى منه زميله الأجنبى . فالمتكلم بأية لغة من اللغات الأوربية الحديثة يجد فى أصول اللغتين اليونانية ، واللاتينية ، وهما من الفصيلة الهندية الأوربية ، مادة لاختيار مصطلحاته . أما فى العربية فيحتاج المختص أن يجهد نفسه لابتكار المصطلح العلمى العربى الذى يتفق وذوق اللغة

وفى السنوات الأخيرة بذل الأفراد والهيئات العلمية فى البلاد العربية ، نشاطا فى ابتكار المصطلحات العلمية . وقد اتجهوا فى ذلك اما الى ترجمة المصطلح الأجنبى ترجمة حرفية ، وقد ترجموا بعض المصطلحات المركبة

الى مصطلحات مركبة أيضا فى العربية ، واما الى ترجمة معنى المصطلح الأجنبى ، واما الى اختيار كلمة عربية قديمة لتؤدى المعنى الجديد . أما اذا تعذر عليهم هذا أو ذاك ، كتبوا المصطلح الأجنبى بحروف عربية

والواقع ان اختيـار اللفظ على أسـاس المعنى هو وسيلة لتوضيح المصطلح . والوسيلة الأخرى هو أن يقوم وضع المصطلحات على أساس التعريفات ، أى أن تترجم التعريفات من اللغات الأوربية الى اللغة العربية ، ثم تعرض على المختصين ، ليقترحوا المصطلحات العربية التى تستخدم فى تأدية المعانى التى تضمنتها التعريفات

والانسان عندما يفكر ليصعد فى مدارج الحضارة ، انما يتخذ من اللغة وسيلته الى التفكير ، بل ان اللغة أداة التفكير وقوامه بحيث لا يتم التفكير ولا يتحقق بدونها

لذلك يحق لنا أن نتساءل : هل يمثل تاريخ اللغة العربية مرآة ينعكس فيها تاريخ الحضارة العربية ؟

ويحاول جرجى زيدان أن يجيب على هذا السؤال بوضعه كتابه هذا « اللغة العربيـة كائن حى » . وهو يتوجه آخر الكتاب ـــ فى تواضـع العلمـاء ـــ الى أئمة اللغة وكتابها وعلمائها ليعاونوا فى بحث الموضوع ، خدمة للغة العربية وتاريخها ونهضتها ، حتى تسير فى ركب الحضارة العلمية الحديثة

مراد كامل

مقدمة

هذا كتاب صغير فى بحث جديد ، تنبهنا له ونحن ننشر الطبعة الثانية من كتابنا «الفلسفة اللغوية» لأن موضوعه تابع لموضوعها ، أو هى خطوة ثانية فى تاريخ اللغة باعتبار منشأها وتكونها ونموها .. فالفلسفة اللغوية تبحث فى كيف نطق الانسان الأول ، وكيف نشأت اللغة وتولدت الألفاظ من حكاية الأصوات الخارجية ، كقصف الرعد ، وهبوب الريح ، والقطع ، والكسر ، وحكاية التف ، والنفخ ، والصفير ، ونحوها .. ومن المقاطع الطبيعية التى ينطق بها الانسان غريزيا ، كالتأوه ، والزفير . وكيف تنوعت تلك الأصوات لفظا ومعنى بالنحت ، والابدال ، والقلب ، حتى صارت ألفاظا مستقلة وتكونت الأفعال ، والأسماء ، والحروف ، وصارت اللغة على نحو ما هى عليه

وأما تاريخ اللغة ، فيتناول النظر فى ألفاظها وتراكيبها ، بعد تمام تكونها ، فيبحث فيما طرأ عليهما من التغيير بالتجدد أو الدثور ، فيبين الألفاظ والتراكيب التى دثرت من اللغة بالاستعمال ، وما قام مقامها من الألفاظ الجديدة ، والتراكيب الجديدة ، بما تولد فيها ، أو اقتبسته من سواها ، مع بيان الأحوال التى قضت بدثور القديم ، وتولد الجديد ، وأمثلة مما دثر ، أو أهمل ، أو تولد ، أو دخل . وهو بحث لغوى تاريخى فلسفى قسمنا الكلام فيه الى ثمانية فصول ، باعتبار الأدوار التى مرت على اللغة وهى :

(١) العصر الجاهلى : ويتناول تاريخ اللغة من أقدم أزمانها الى ظهور الاسلام .. أوردنا فيه أمثلة مما دخلها من الألفاظ الأعجمية من اللغات الحبشية ، والفارسية ، والسنسكريتية ، والهيروغليفية ، واليونانية وغيرها ، وأسندنا ذلك الى أسباب تاريخية . وذكرنا القاعدة فى تعيين

أصول تلك الألفاظ ، وأمثلة مما تولد فى اللغة نفسها من الألفاظ الجديدة ، وأيدنا ذلك بمقابلة العربية بأخواتها ، أو بالنظر الى ألفاظها بحد ذاتها

(٢) العصر الاسلامى : ونريد به ما حدث فى اللغة بعد الاسلام من الألفاظ الاسلامية مما اقتضاه الشرع ، والفقه ، والعلوم اللغوية ، ونحوها

(٣) الألفاظ الادارية فى الدولة العربية : وتشمل ما دخل اللغة العربية من الألفاظ الادارية التى اقتضاها التمدن الاسلامى عند انشاء دولة العرب .. وهى اما دخيلة ، واما مولدة . ويتخلل ذلك بحث فى كيفية انتقال اللفظ من معنى الى آخر

(٤) الألفاظ العلمية فى الدولة العربية : ويدخل فيها الألفاظ والتراكيب التى اقتضاها نقل العلم والفلسفة من اليونانية وغيرها الى اللغة العربية فى العصر العباسى

(٥) الألفاظ العامة فى الدولة العربية : وهى الألفاظ التى تولدت فى اللغة ، أو دخلتها بغيرطريق الشرع ، أو العلم،كالألفاظ الاجتماعية ونحوها

(٦) الألفاظ النصرانية واليهودية : وهى ما دخل اللغة العربية من الألفاظ ، والتراكيب السريانية ، أو العبرانية ، بنقل الكتب النصرانية الى العربية

(٧) الألفاظ الدخيلة فى الدول الأعجمية : وتتناول ما اكتسبته اللغة من الألفاظ الأعجمية بعد زوال الدول العربية ، وتولى الدول التركية ، والكردية ، وغيرها

(٨) النهضة الحديثة : وفيها ما اقتضاه التمدن الحديث من تولد الألفاظ الجديدة ، واقتباس الألفاظ الافرنجية للتعبير عما حدث من المعانى الجديدة فى العلم ، والصناعة ، والتجارة ، والادارة ، وغيرها

وصدرنا الكتاب بتمهيد فى نواميس الحياة وخضوع اللغة لها ، وختمناه بفصل فى لغة الدواوين ، وخلاصة فى مجمل ما تقدم

على اننا نعد ما كتبناه فى هذا الموضوع الجديد خواطر سانحة ، فتحنا

بها باب البحث لأئمة الانشاء ، وعلمـاء اللغة .. فنتقدم اليهم أن يوفوا الموضوع حقه ، أو يزيدونا منه لأنه يحتاج الى بحث كثير ، ودرس طويل.
وقد أصبحت اللغة بعد هذه النهضة فى العلم ، والأدب ، والشعر ، فى غاية الافتقار اليه .. ليعلم حملة الأقلام ان اللغة كائن حى نام خاضع لناموس الارتقـاء ، تتجدد ألفاظهـا ، وتراكيبها على الدوام .. فلا يتهيبون من استخدام لفظ جديد لم يستخدمه العرب له . وقد يكون تهيبهم مانعا من استثمار قرائحهم ، وربما ترتب على اطلاق سراح أقلامهم فوائد عظمى تعود على آداب اللغة العربية بالخير الجزيل . ولا بد من اعتبار القواعد العامة ، والروابط الأساسية ، مما أشرنا اليه فى محله .. ناهيك بما ينجم عن معرفة أصل الكلمة وتاريخها من تفهم معناها الحقيقى

جرجى زيدان

تمهيد

نواميس الحياة

من أهم نواميس الحياة : النمو ، أو التجدد ، وهو ينطوى على دثور الأنسجة وتولد ما يحل محلها .. ومعنى ذلك ان الجسم الحى مؤلف من خلايا لكل منها حياة مستقلة ، اذا انقضت ماتت الخلية وانحلت أجزاؤها وانصرفت ، وتولدت فى مكانها خليـة جديدة تتكون من العصـارات الغذائية ، كالدم ونحوه .. فالجسم الحى فى انحلال وتولد دائمين ، حتى قالوا : ان جسم الانسان يتجدد كله فى بضع سنين ، أى لايبقى فيه شىء من المواد التى كان يتألف منها قبلا ، وبغير هذا التجدد لايكون الجسم حيا . واذا حدث فى جسم الحيوان ما يمنع من تجدد الأنسجة أسرع اليه الفناء .. فالتجدد ضرورى للحياة

وحياة الأمة مثل حياة الفرد ، بل هى ظاهرة فيها أكثر من ظهورها فيه ، لأن الأمة انما تحيا بدثور القديم ، وتولد الجديد .. فكأن أفراد الأمة خلايا يتألف منها بدن تلك الأمة ، وهو يتجدد فى قرن كما يتجدد جسم الانسان فى عقد من عقود تلك القرون

واذا تتبعنا نمو الأمة بتوالى الأجيـال ، رأيناها تتفرع وتتشعب .. فتصير الأمة الواحدة أمما يتفاوت البعد بينها بتفاوت الأزمان والأحوال . وكل أمة من هذه ، تتشعب بتوالى الدهور الى أمم أخرى ، وهكذا الى غير حد .. وهو ما يعبرون عنه بناموس الارتقاء العام

اللغة كائن حى

ويتبع الاحيـاء فى الخضوع لهذه النواميس ما هو من قبيل ظواهر الحياة أو توابعها ، وخاصة ما يتعلق منها بأعمال العقل فى الانسان ، كاللغة

والعادات ، والديانات ، والشرائع ، والعلوم ، والآداب ، ونحوها .. فهذه تعد من ظواهر حياة الأمة ، وهى خاضعة لناموس النمو والتجدد ولناموس الارتقاء العام . ولكل من هذه الظواهر تاريخ فلسفى طويل ، نعبر عنه بتاريخ تمدن الأمة ، أو تاريخ آدابها ، أو علومها ، أو حكومتها ، أو أديانها ، أو نحو ذلك . وهى أبحاث شائقة فيها فلسفة ونظر .. ومن هذا القبيل تاريخ اللغة وآدابها

***

والبحث فى تاريخ اللغة على العموم يتناول :

أولا : النظر فى نشأتها منذ تكونها مع ما مـرّ عليها من الأحوال قبل زمن التاريخ ، كتكـوّن الأفعال ، والأسماء ، والحروف ، وتولد صيغ الاشتقاق وأساليب التعبير ونحو ذلك ، والبحث فى هـذا كله من شأن الفلسفة اللغوية ، وقد فصّلناه فى كتابنا « الفلسفة اللغوية »

ثانيا : النظر فيما طرأ على اللغة من التأثيرات الخارجية بعد اختلاط أصحابها بالأمم الأخرى ، فاكتسبت من لغاتهم ألفاظا وتعبيرات جديدة ، كما يقتبس أهلها من عادات تلك الأمم ، وأخلاقهم ، وآدابهم ، وما يرافق ذلك من تنوع معانى الألفاظ بتنوع الأحوال مع حدوث صيغ جديدة ، وألفاظ جديدة

ثالثا : النظر فى تاريخ ما حوته اللغة من العلوم ، والآداب ، باختلاف العصور وهو « تاريخ آداب اللغة » . وهذا التقسيم تقريبى ، اذ لا تجد حدا فاصلا بين هذه الأقسام

واذا تدبرت تاريخ كل ظاهرة من ظواهر الأمة ، كالآداب ، أو اللغة ، أو الشرائع ، أو غيرها ، باعتبار ما مـرّ بها من الأحوال فى أثناء نموها ، وارتقائها ، وتفرعها ، رأيتها تسير فى نموها سيرا خفيا لايشعر به المرء الا بعد انقضاء الزمن الطويل . ويتخلل ذلك السير البطىء وثبات قوية تأتى دفعة واحدة ، فتغير الشؤون تغييرا ظاهرا .. وهو ما يعبرون عنه بالنهضة ، وسبب تلك النهضات على الغالب احتكاك الأفكار بالاختلاط بين الأمم

على أثر مهاجرة اقتضتها الطبيعة من قحط أو خوف ، أو يكون سبب الاختلاط ظهور نبى ، أو مشرّع ، أو فيلسوف كبير ، أو نبوغ قائد طموح يحمل الناس على الفتح والغزو ، أو أمثال ذلك من أسباب الاختلاط .. فتتحاك الأفكار ، وتتمازج الطباع ، فتتنوع العادات ، والأخلاق ، والأديان ، والآداب ، واللغة تابعة لكل ذلك .. بل هى الحافظة لآثار ذلك التغيير ، فتحتفظ بها قرونا بعد زوال تلك العادات ، أو الآداب ، أو الشرائع ، واذا تبدل شىء منها حفظت آثار تبدله ..

وسنقتصر فى هذا البحث على تاريخ اللغة العربية فى دورها الثانى ، وهو تاريخ ألفاظها وتراكيبها بعد تكونها

ادوار تاريخ اللغة

باعتبار ما طرأ من التغيير على ألفاظها وتراكيبهـا بعـد تكونهـا وارتقائها

اذا تدبرنا ما مـرّ على اللغة العربية من المؤثرات الخارجية بعد تكـوّنها وارتقائها حتى اكتسبت ما اكتسبته من الألفاظ وضروب التعبير ، رأيناها قد مـرّت فى ثمانية أدوار ، أو عصور ، هى :

(١) العصر الجاهلى : وفيه ما لحق اللغة من التنوع والتغير فى ألفاظها وتراكيبها قبل الاسلام

(٢) العصر الاسلامى : أى أثر الاسلام فى ألفاظ اللغة وتراكيبها

(٣) الألفاظ الادارية فى الدولة العربية

(٤) الألفاظ العلمية فى الدولة العربية

(٥) الألفاظ الاجتماعية ونحوها

(٦) الألفاظ النصرانية

(٧) الألفاظ الأعجمية فى دول الأعاجم

(٨) النهضة الحديثة

العصر الجاهلى

العصر الجاهلى

ويراد به الزمن الذى مرّ على اللغة العربية قبل الاسلام ، ولا يمكن تعيين أوله لضياع ذلك فى ثنيات الدهور التى مرّت قبل زمن التاريخ .. ولكننا نعتقد أن اللغة العربية نشأت ونمت ، أى تميزت فيها الأسماء ، والأفعال ، والحروف ، وتكونت فيها معظم الاشتقاقات ، والمزيدات ، وهى لاتزال فى حجر أمها ، أى قبـل انفصـالها عن أخواتها الكلدانية ، والعبرانية ، والفينيقية ، وغيرها من اللغات السامية (١) . وبعبارة أخرى أن أم هذه اللغات ، ويسمونها اللغة السامية أو الآرامية (٢) تمّ نموّها ، فتكونت أفعالها ، وأسماؤها ، وحروفها ، واشتقاقاتها ، ومزيداتها قبل أن تشتت أهلها ، أو نزحوا الى فينيقية ، وجزيرة العرب ، وما بين النهرين ، حيث إختلفت لغة كل قوم منهم بعد ذلك النزوح ، باختلاف أحوالهم .. فتولدت منها اللغات السامية المعروفة (٣) . فالساميون الذين نزلوا جزيرة العرب ، تنوعت لغتهم تنوعا ينـاسب ما يحيط بهم من الأحـوال ، أو

---

(١) يقسم العلماء اللغات السامية جغرافيا الى قسمين : شمالى وجنـوبى. أما الشمالى فينقسم الى شعبتين :

شرقية ــ وتشتمل على اللغة الاكدية بقسميها : البابلية والاشورية

وغربية ــ وتشتمل على اللغة الاجريتية (وهى لغة نقوش راس شـمرا) ، والفينيقية ، والعبرية ، والآرامية

وأما القسم الجنوبى فيضم اللغة العربية ولغة نقوش بلاد العرب الجنوبية ، واللغات السامية الموجودة فى أثيوبيا

(٢) نسمى اللغة السامية المشتركة ، والتى نفترض أن اللغات الساميـة تفرعت عنها ، باللغة السامية الام أو باللغة السامية الاصلية • ولا نسميهـا بالآرامية لانه ثبت أن الآرامية احدى اللغات السامية التى تفرعت عن اللغـة السامية الاصلية

(٣) ذهب العلماء مذاهب شتى فى المهد الاصلى للساميين ، فى عصور ماقبل التاريخ • وقد حاول أصحاب كل نظرية أن يأتوا بأدلة تثبت رأيهم : منهـا

يجاورهم من الأمم .. فتميزت عن أخواتها بأمور خاصة ، هى خصائص اللغة العربية (١) . وتشعبت هذه اللغة فى أثناء ذلك الى فروع يختلف بعضها عن بعض باختلاف الأصقاع ، وهى لغات الحجاز ، واليمن ، والحبشة . وتفرعت لغة كل من تلك البقاع الى فروع ، باعتبار القبائل والبطون مما لايمكن حصره .. كل ذلك حدث قبل زمن التاريخ

ويكفينا فى هذا المقام البحث فى لغة الحجاز وحدها ، وهى اللغة العربية التى وصلت الينا (٢) ، لقد كانت قبل تدوينها — أى قبل الاسلام — لغات

جغرافية ومنها لغوية ومنها ما يختص بالجنس ومنها ما فسروا به التوراة ٠فمن قائل ان مهد الساميين الاصلى بلاد أرمينية ، ومن قائل انه شمال افريقيا ،ومن قائل انه شبه الجزيرة العربية ، ومن قائل إنه ما بين النهرين ، ومن قائل انه بلاد العموريين فى سوريا

ولكن العلماء اتفقوا على أن موطن الشعب السامى ، فى العصور التاريخية كان شبه الجزيرة العربية ٠ ومن الجزيرة العربية خرجت الهجرات السامية : الاولى نحو العراق من ابتداء الالف الرابع قبل الميلاد ، وهى الاكادية ، والثانية حوالى سنة الفين قبل الميلاد ، وهى الكنعانية ، والثالثة حوالى سنة الف وخمسمائة قبل الميلاد ، وهى الآرامية ، ثم الرابعة ، وهى العربية ، وتمثل أقوى الهجرات السامية ، ونحن نعرف تفاصيلها التاريخية والاسباب التى دعت اليها

(١) حافظت اللغة العربية على أكثر خصائص اللغة السامية الاصلية

(٢) كانت المدنية العربية فى شمال الجزيرة تختلف عنها فى جنوبيها ، وذلك فى القرون الاخيرة قبل الميلاد ٠ ومعرفتنا بمدينتهم ينقصها الكثير ، لانه لم تصل الينا كتابات من تلك العصور ٠ وان كل ما وصل الينا من عرب الشمال كتابات قليلة لا تعطينا صورة واضحة تمام الوضوح عن مدى ما وصلوا اليه من حضارة

لقد اعتمدنا فى معرفتنا بالعرب قبل الميلاد على ماذكره عنهم جيرانهم . وهذا لا يسد الثغرة التى لا تزال قائمة .. ففى القرن الثامن قبل الميلاد ، ذكرت النقوش الاشورية اسم ملك عربى هو « جندب » وذكرت محاربته للاشوريين ووردت فى النصوص الاشورية والكنعانية بعض اسماء عربية لاعلام وأماكن

وظهرت منذ القرون الاخيرة قبل الميلاد ممالك آرامية فى شمالى الجزيرة ، وكانت حضارتها آرامية ، ولكننا نعرف أن معظم سكانها وملوكها كانوا من العرب : فكانت مدينة الرها مركز السريانية مثلا ، فى القرن الاول بعد الميلاد

←

عديدة تعرف بلغات القبائل ، وبينها اختلاف فى اللفظ والتركيب ، كلغات تميم ، وربيعة ، ومضر ، وقيس ، وهذيل ، وقضاعة ، وغيرها . كما هو مشهور (١) . وأقرب هذه اللغات شبها باللغة السامية الأصلية أبعدها

عاصمة مملكة تحكمها أسرة عربية

أما فى القرون القليلة قبل الميلاد فقد اختلفت الحال اذ عثر العلمـــاء على ثلاث لغاتعربية اندثرت ٠٠ كتبت بأقلام مختلفة هى : اللحيانية، والثمودية، والصفوية

أما اللحيانية فهى لغة قبائل فى طريق الحج شمالى المدينة ، واسمها القديم « ددن » ٠ ووجدت نصوص من هذه اللغة فى العلا وفى الحجر شمالها (مدائن صالح) وقد كتبت بخط اشتق من الخط المسند ، ولعل صلة اللحيانيين وهم من عرب الشمال ، بالمعينيين وهم من عرب الجنوب ، وكانوا قد سكنوا العلا قبل اللحيانيين ، قد ساعدتهم على الاستعانة بخط المعينيين وهو المسند فى ايجاد خط خاص بهم وكتابة لغتهم به

وأما الثمودية ، فهى لغة قبائل من عرب الشمال سكنوا المنطقة التى تمتد من جبل شمر الى ساحل البحر الاحمر ، ومن تبوك الى العلا ، حيث وجـــدت لغتهم مدونة على حجارة ، كما وجدت منها نصوص على الصخور فى شبه جزيرة سيناء وفى صحراء مصر الشرقية ٠ ورد ذكر الثموديين فى نصوص أشـورية من القرن الثامن قبل الميلاد ، وورد ذكرهم فى الكتابات اليونانية والرومانية ، ثم جاء ذكرهم فى القرآن الكريم

أما الصفوية ، فقد اشتق اسمها من واحة الصفاء الواقعة وراء جبل الدروز٠ ووجدت النقوش الصفوية فى الحرة ، وفى أم الجمال جنوبى حـوران ، وفى الصالحية على الفرات ٠ وقد اشتقوا قلمهم من الخط المسند مما يدل على صلتهم بالقبائل اليمنية

وتختلف هذه اللغات الثلاث عن العربية الفصحى ، ولكنها أقرب اللغـات السامية اليها ٠ وتقف كل هذه النقوش عند أواخر القــرن الثالث بعـــد الميـــلاد

(١) أول أثر عربى مكتوب عثر عليه ، هو نقش على قبر الملك أمرىء القيس ابن عمرو ، وهو مؤرخ سنة ثمان وعشرين وثلثمائة بعد الميـــلاد ٠ وجـــد النقش فى النمارة التى كانت موطن قبيلة لخم ، والملك المذكـــور هو أمرؤ القيس ثانى ملوك الحيرةجد المناذرة ٠ وتقعالنمارة فى الحرةشرق جبلالدروز٠ وخط النقش متأثر بالقلم النبطى ، ولم يشتق من الخط المسند مثل ســـائر اللغات العربية الشمالية اى اللحيانية والثمودية والصفوية

عن الاختلاط ، وبعكس ذلك القبائل التى كانت تختلط بالأمم الأخرى، كأهل الحجاز مما يلى الشام ، وخاصة أهل مكة ، وبالأخص قريش ، فقد كانوا أهل تجارة وسفر شمالا الى الشام ، والعراق ، ومصر ، وجنوبا الى بلاد اليمن ، وشرقا الى خليج فارس وما وراءه ، وغربا الى بلاد الحبشة

فضلا عما كان يجتمع حول الكعبة من الأمم المختلفة ، وفيهم الهنود ، والفرس ، والأنباط ، واليمنية ، والأحباش ، والمصريون ، عدا الذين كانوا ينزحون اليها من جالية اليهود والنصارى ، فدعا ذلك كله الى ارتقاء اللغة بما تولد فيها أو دخلها من الاشتقاقات ، والتراكيب ، مما لا مثيل له فى اللغات الأخرى

وزاد ذلك الاقتباس خاصة على أثر النهضة التى حدثت فى القرنين الأول ، والثانى ، قبل الاسلام ، بنزول الحبشة ، والفرس فى اليمن ، والحجاز ، على أثر استبداد ذى نواس ملك اليمن .. وكان يهوديا فاضطهد نصارى اليمن فى القرن الخامس للميلاد (١) ، وخاصة أهل نجران ، فطلب اليهم اعتناق اليهودية .. فلما أبوا قتلهم حرقا وذبحا ، فاستنجد بعضهم بالحبشة .. فحمل الأحباش على اليمن وفتحوها واستعمروها حينا ، وأذلوا ملوكها أعواما . ثم أنف أحد ملوكها ذو يزن ، فاستنجد بالفرس على عهد كسرى أنوشروان ، فأنجده طمعا فى الفتح .. فأخرج الأحباش من اليمن بعد أن ملكوها ٧٢ عاما ، وكانوا فى أثناء ذلك يترددون الى الحجاز، وحاولوا فتحه فى أواسط القرن السادس ، فجاءوا مكة بأفيالهم ، ورجالهم، ولم يفلحوا . واهتم أهل الحجاز بقدوم الحبشة الى مكة حتى أرخوا منه وهو عام الفيل (٢) . ولما فتح الفرس اليمن ، أقاموا فيها واختلطوا بأهلها

---

(١) استولى الاحباش على اليمن فى القرن الرابع الميلادى ، وكان ملوك اليمن قد تهودوا • وظلت الحبشة تحكم اليمن حتى ظهرت دولة ذى نواس عام ٥٢٥ ميلادية ، ثم فتح الفرس اليمن سنة ٥٧٠ ميلادية

(٢) جرى المفسرون على شرح عام الفيل وتسميته بذلك لاستخدام الاحباش.

بالمبايعة والمزاوجة وتوطنوا ، وكانوا يقدمون الى الحجاز وأهل الحجاز يترددون اليهم



الفيلة فى حربهم لاهل مكة . وأثبتت الكشوف الحديثة أن قائد الحملة الحبشى كان يسمى « أفيلاس » أو « أفيل » وربما قصد بتسمية العام بعام الفيل نسبة الى هذا القائد لا لوجود فيلة أو فيل مع الحملة

الألفاظ الأعجمية

فكان لهذه النهضة تأثير كبير فى اللغة العربية (١) ، فتكاثرت ألفاظها ومشتقاتها ، فلما جمعوا اللغة بلغت صيغ أبنية الأسماء فقط بضع مئات ، ثم صارت بعد ذلك ببضعة قرون ألف ومائتين وعشرة أمثلة .. ناهيك بما دخلها من الألفاظ الغريبة وما اقتبسته من التراكيب الأجنبية ، ولكن أكثره ضاع فيها وتنوع شكله ولم يعد يتميز أصله .. على اننا نستدل على تكاثر الألفاظ الدخيلة فى اللغة العربية بخلو أخواتها من أمثال تلك الألفاظ . فاذا رأينا لفظا فى العربية لم نر له شبيها فى العبرانية ، أو الكلدانية ، أو الحبشية ، ترجح عندنا انه دخيل فيها . وأكثر ما يكون ذلك فى أسماء العقاقير ، أو الأدوات ، أو المصنوعات ، أو المعادن ، أو نحوها ، مما يحمل الى بلاد العرب من بلاد الفرس ، أو الروم ، أو الهند ، أو غيرها .. ولم يكن للعرب معرفة به من قبل ، أو فى أسماء بعض المصطلحات الدينية ،

---

(١) أثرت اللغات الفارسية والحبشية والآرامية فى اللغة العربية فى العصر الجاهلى . والسبب فى ذلك هو أن هذه اللغات كانت لغات أقوام متمدنة ، جاورت العرب فى القرون السابقة للهجرة

فاللغة الآرامية على اختلاف لهجاتها ، كانت سائدة فى فلسطين ، وسورية، وما بين النهرين

وكانت الفارسية مجاورة للارامية والعربية فى العراق ، وكان تفوقهما قد امتد الى شرق جزيرة العرب وجنوبها

وكانت اللغة الحبشية ولغة بلاد العربية الجنوبية التى تقارب الحبشة ، تجاوران العربية الشمالية فى جزيرة العرب

وكان للصلات التجارية بين عرب الشمال وبين الآراميين والفرس واليمن والحبشة أثر فعال فى اللغة العربية

فان تجار مكة مثلا ، كانوا يتجرون مع الآراميين فى دمشق ، ومع الفرس فى الحيرة والمدائن . ومع سبأ وحمير فى اليمن . وكانت قوافل هؤلاء جميعا تجتاز الجزيرة العربية من ناحية الى أخرى

←

أو الأدبية ، وأكثر ذلك منقول عن العبرانية ، أو الحبشية ، لأن اليهود والأحباش من أهل الكتاب (١)

ويقال بالاجمال ان العرب اقتبسوا من لغة الفرس أكثر مما اقتبسوا من سواها ، ولذلك رأينا أئمة اللغة اذا أشكل عليهم أصل بعض الألفاظ الأعجمية عدوها فارسية ، ومن أمثلة ما ذكره صاحب المزهر من الألفاظ الفارسية « الكوز ، الجرة ، الابريق ، الطشت ، الخوان ، الطبق ، القصعة ، السكرجة ، السمور ، السنجاب ، الفاقم ، الفنك ، الدلق ، الخز ، الديباج ، التاخنج ، السندس ، الياقوت ، الفيروزج ، البللور ، الكعك ، الدرمك ، الجردق، السميد ، السكباج، الزبرباج ، الاسفيذاج،

وكانت الآرامية من أهم لغات النصرانية ، التى اعتنقتها بعض القبائل العربية ، وكانت الحبشية من اللغات النصرانية أيضا • ونحن نعلم من السيرة النبوية مدى الصلات الوثيقة بين المسلمين ونصارى الحبشة فى فجر الاسلام

وكانت الارامية هى لغة الدين المسيحي والدين اليهودى ، وكانت الفارسية لغة دين المجوس • وكانت الفارسية لغة احدى المملكتين الكبيرتين المتصلتين بأطراف بلاد العرب • وقد استمرت مملكة الفرس قائمة أكثر من عشرة قرون ، فلا عجب ان أثرت لغتها تأثيرا قويا فى اللغة العربية وفى اللغة الآرامية

وكانت اللغة اليونانية لغة المملكة الكبرى الاخرى ، وكانت لغة الادارة فى مملكة الروم ، ولغة الحضارة والفلسفة والعلوم • وكان تأثيرها على العربية عن طريق الارامية بالاخص

وكان للغة الاكدية ومن قبلها الشومرية أثر فى اللغة العربية ، مما يدل على العلاقات القديمة بين بلاد العرب وبلاد ما بين النهرين • أما اللغة القبطية فلا يكاد يوجد لها أثر فى اللغة العربية ، ولذلك أسباب تاريخية

(١) تستخدم اللغة ألفاظا دخيلة عادة ، لمسميات أو اختراعات أو عادات تأتى اليها من الخارج • وقد لاحظنا فوق ذلك فى اللغة العربية أنها تقتبس ألفاظا أجنبية مع وجود ما يقابلها فى العربية أحيانا • وربما كان ذلك للاكثار من المرادف ، أو للتفاهم مع اقوام لا يفهمون الا المهم من كلامهم ، أو لان فى بعض حروف الكلمة الدخيلة خفة ورشاقة وذلاقة لا تحس فى لغتهم ، أو للمباهاة باللفظ الغريب ، أو غير ذلك من الاسباب • وقد يقتل الدخيل الاصيل ، فيصبح من العسير على السامع أن يفهم الكلام العربى الصميم بعد أن ألف سماع الاجنبى الدخيل

الطيـــاهج ، الفـــالوذج ، اللوزينج ، الجوزينج ، البغرينج ، الجلاب ، السكنجين ، الخلنجين ، الدارصيني ، الفلفـــل ، الكراويا ، الزنجبيل ، الخولنجان ، القرفة ، النرجس ، البنفسج ، النسرين ، الخيرى ، السوسن، المزنجوش ، الياسمين ، الجلنار ، المسك ، العنبر ، الكافور ، الصندل ، القرنفل » اهـ . وعندنا ان بعض هذه الألفاظ غير فارسى كما سترى (١)

ومما اقتبسوه من اليونانيـــة واللاتينية : الفردوس ، والقســـطاس ، والبطاقة ، والقرسطون ، والقبان ، والاصطرلاب ، والقسطل ، والقنطار، والبطريق ، والترياق ، والقنطرة ، وغيرها كثير (٢)

وأما ما نقلوه عن الحبشية ، فأكثره لايدل على أصـــله لتغير شكله ، ولأن الحبشية والعربية أختان تتشابه الألفاظ فيهما . والمشهور عند علماء العربيـــة من الألفاظ المقتبســـة من الحبشية ثلاثة : كفلين ، والمشكاة ، والهرج .. لكننا لانشك فى انهم اقتبسوا كثيرا غيرها ، وخاصة ما يتعلق

---

(١) دخل العربية بعد الاسلام كثير من الالفاظ الفارسية . أما ما دخـــل العربية قبيل الاسلام أو فى فجره ، فمصطلحات فى أغراض متعددة منها :فى الادارة ، كالديوان ، والرزق ، والمرزبان ، والدهقان ، والفرسخ ، والتـــاج . ومنها ألفاظ دينية : كالدين ، والجناح ، والمجوس ، والنيروز . ومنها اسـماء لاشياء خاصة بالفرس أو مستوردة من عندهم : كالصنج ، والصولجـــان ، والفردوس ، والفيل ، والجاموس ، والمسك . ومنها أنواع المنسوجـــات : كالديباج ، والاستبرق ، والابريسم ، والقمط . ومنها أشياء أخرى : كالسراج والخندق

(٢) تعددت الالفاظ الدخيلة من اليونانية فى العربية فى عصر متأخر ، ومن أقدمها : ابليس ، والجنس ، والزوج ، والقرطاس ، والازميل ، والفنـــدق ، واللص

أما الالفاظ اللاتينية فدخلت اليونانية ثم أخذتها الآرامية ، وعن الاراميـــة أخذت العربية ومنها : الصراط ، والميل ، والقصر ، والقنطرة ، والقنـــطار ، والدينـــار

وهناك بعض الفاظ يونانية ولاتينية دخلت العربية عن طريق اللغة الحبشية أو الفارسية ، مثال ذلك : الانجيل (عن الحبشية) ، والقلم (عن الحبشية) والدرهم (عن الفارسية)

منها بالاصطلاحات الدينية (١)

من ذلك قولهم « المنبر » وهو عند العرب « مكان مرتفع فى الجامع أو الكنيسة يقف فيه الخطيب أو الواعظ » وقد شقه صاحب القاموس من « نبر » أى ارتفع وفى ذلك الاشتقاق تكلف . وعندنا انه معرب « ومبر » فى الحبشية أى كرسى أو مجلس أو عرش (٢)

ومن هـذا القبيل لفظ « النفاق » وهو عند العرب « ستر الكفر فى القلب واظهار الايمان » وقد شقوه من « نفق » راج أو رغب فيه ، وليس بين المعنيين تناسب ، فاضطروا لتعليله الى استعارة خروج اليربوع من نافقائه فقالوا : « ومنه اشتقاق المنافق فى الدين » وهو تكلف نحن فى غنى عنه اذا عرفنا ان « نفاق » فى الحبشية معناها الهرتقة ، أو البدعة ، أو الضلال فى الدين . وهى من التعبيرات النصرانية التى شاعت فى الحبشية بدخول النصرانية فيها (٣)

---

(١) ان اكثر الدخيل فى العربية من الحبشية يعود الى أشياء دينية منها : حواريون ، ونافق ، ومنافقون ، وفطر ، ومنبر ، ومحراب ، ومصحف ، وبرهان وهذه الالفاظ تدل على الصلة بين المسلمين وبلاد الحبشة قبل الهجرة

وهناك بعض الفاظ دخيلة نشتقها من الحبشية ، وربما كانت فى حقيقتها يمنية ، وذلك للقرابة الشديدة بين الحبشية واللهجات اليمنية القديمة ، والتى لم تصل الينا الا فى النقوش • هذا وقد أعطتنا النقوش الى الان قدرا غير كبير من مفردات اللهجات اليمنية القديمة

ولهذا نفترض أن بعض الالفاظ الدخيلة فى العربية ، والتى نرجعها الى الحبشية هى فى الواقع من اللغة العربية الجنوبية القديمة ، ومن ذلك : خوخة ، ومشكاة ، وسكة (بمعنى الطريق الواسع) ، ومائدة ، وبغل • ونجد بعض الالفاظ الدخيلة فى العربية عن لغة من اللغات العربية الجنوبية وذلك لعدم وجودها فى الحبشية منها : تاريخ

وهناك بعض الفاظ آرامية دخلت العربية عن طريق الحبشية منها : قدوس (وأصلها الآرامى : قديس) ، وتابوت (وأصلها الآرامى : تيبوتا) ، وجهنم (وأصلها الآرامى : جيهنام)

(٢) فى الحبشية القديمة أى الجعز : « منبر » أى مقعد ، وفى الامهرية « ومبر » كما ذكرت هنا

(٣) نافق مأخوذة من الفعل الحبشى « نفق » أى شك أو داهن ، ومنها منافق فى الحبشية أى التابع لطائفة تخالف العامة

وكذلك لفظ « الحوارى » شقه صاحب القاموس من « حار » بمعنى البياض ، وقال فى معنى الحوارى انه سمى بذلك لخلوص نية الحواريين ونقاء سريرتهم أو لأنهم كانوا يلبسون الثياب البيض ، والأظهر ان هذه اللفظة معرب « حوارى » فى الحبشية ، ومعناها فيها « الرسول » وهو المعنى المراد بها فى العربية تماما (١)

وكذلك « برهان » وقد شقها صاحب القاموس من « برهن » وشقها غيره من « بره » بمعنى القطع وأن النون زائدة فيها ، وهى فى الحبشية « برهان » أى النور ، أو الايضاح ، مشتقة من « بره » عندهم أى اتضح أو أنار

وقس على ذلك كثيرا من أمثاله ، كالمصحف ، فانه حبشى من «صحف» أى كتب ، والمصحف الكتاب . ناهيك بأسماء الحيوانات ، أو النباتات ، أو نحوها . فان « عنبسة » من أسماء الأسد عند العرب ، وهى اسم الأسد بالحبشية (٢)

وقد أخذوا عن العبرانية كثيرا من الألفاظ الدينية : كالحج ، والكاهن، والعاشوراء ، وغيرها ، وأكثرها نقل الى الصيغ العربية لتقارب اللفظ والمعنى فى اللغتين لأنهما شقيقتان ، ويضيق هذا المقام عن ايراد الأمثلة (٣)

ولا ريب ان العرب اقتبسوا كثيرا من الألفاظ السنسكريتية ممن كان

---

(١) فى الحبشية « حواريا » أى رسول ، من الفعل الحبشى «حور» أى سار ومشى

(٢) أحد أسماء الاسد فى الحبشية « أنبس »

(٣) نجد فى العربية الفاظا أكدية وشومرية ،وهذا دليل على صلة بلاد العرب بهاتين الحضارتين القديمتين ، ودخول عناصر شرقية قديمة عند العرب .. فمن الكلمات الاكدية : الدين أى القضاء ، والحكم ، والسبت ، وسطر أى كتب ، والتلميذ ، والترجمان ، والتاجر ، والمسكين ، والجبس ، والنجار ، والآجر ، والفخار ، والجص ، والنفط ، والاتون ، والكانون ، والكور أى مجمرة الحداد ، والقفة ، والارجوان ، والتل

ومن الكلمات الشومرية : الهيكل ، والكرسى ، والآسى أى الطبيب ، والكر (للكيل) .

يخالطهم من الهنود فى أثناء السفر للتجارة ، أو الحج ، لأن جزيرة العرب كانت واسطة الاتصال بين الشرق والغرب .. فكل تجارات الهند المحمولة الى مصر ، أو الشام ، أو المغرب ، كانت تمر ببلاد العرب ، ويكون للعرب فى حملها أو ترويجها شأن . وقد عثرنا فى السنسكريتية على ألفاظ تشبه ألفاظا عربية ، تغلب أن تكون سنسكريتية الأصل لخلو اخوات العربية من أمثالها كقولهم « صبح » و « بهاء » فانهما فى السنسكريتية بهذا اللفظ تماما ، ويدلان على الاشراق أو الاضاءة . ولا يعقل انهما مأخوذان عن العربية لأن السنسكريتية دونت قبل العربية بزمن مديد . ونظن لفظ « سفينة » سنسكريتى الأصل أيضا ، وكذلك « ضياء » .. ولعلنا بزيادة درسنا اللغة السنسكريتية ينكشف لنا كثير من أمثال ذلك

على اننا نرجح ان العرب أخذوا عن الهنود كثيرا من المصطلحات التجارية وأسماء السفن وأدواتها ، وأسماء الحجارة الكريمة ، والعقاقير ، والطيب مما يحمل من بلاد الهند .. والعرب يعدونها عربية ، أو يلحقونها بالألفاظ الفارسية تساهلا : كالمسك مثلا ، فقد رأيت صاحب المزهر يعده فارسيا ، وهكذا يقول صاحب القاموس . وهو فى الحقيقة سنسكريتى ، ولفظه فيها « مشكا » وذكروا « الكافور » بين الألفاظ الفارسية وهو هندى على لغة أهل ملقا ولفظه عندهم « كابور » . وقد ذكروا أيضا أن القرنفل فارسى ، والغالب عندنا انه سنسكريتى لأن أصله من الهند وقس عليه (١)

---

(١) لم يكن هناك اسم تعرف به شبه القارة الهند ـ الباكستانية . وكانت الاقاليم المختلفة تعرف بأسمائها أو تعرف باسم العاصمة . وكان نهر « السند » الذى يذكره العرب القدماء باسم « مهران » ، يعرف باسمه الحالى ، الى أن امتد اليه نفوذ الفرس فى العصر القديم فسموه « هندهو » جريا على عادتهم فى ابدال السين فى السنكريتية بالهاء . ولما جاء العرب اقروا اسم « السند » للاراضى الواقعة على ضفتى ذلك النهر ، وبدءوا يطلقون اسم « الهند » على ما وراءها

عرف العرب قبل الاسلام بلاد الهند ، وأحبوها الى حد أنهم اتخذوا من اسمها اسما لنسائهم . وعرفوا عطورها ، وأحجارها ، وسيوفها ، وثمارها . وكانت تجارتهم مع الهند عن طريق البحر ، فكان من الطبيعى أن يقتصر

وتعيين أصل اللفظ لالحاقه باللغة المأخوذ منها يحتاج الى نظر لايكفى فيه المشابهة اللفظية ، اذ كثيرا ما تتفق كلمتان من لغتين فى لفظ واحد

اتصالهم بها على الشواطىء والسواحل ، ولاسيما الساحل الغربى والجنوبى .
ونستدل على ذلك من أسماء لمسميات فى العربية هى فى الاصل أسماء لاماكن كانت تستورد منها تلك المسميات ، وذلك مثل المندل ، وهو العود المستورد من « كورومندل » والهيل (وهو حب الهان) المستورد من رأس « هيلى » أو « أيلى » على الساحل الغربى بجنوب الهند

ولما جاء الاسلام ازدادت صلة العرب التجارية بالهند ، كما ازدادت معرفتهم لها . وقد كان لعرب عمان والبحرين والمناطق الساحلية أثر فى شن الغارات البحرية ، فى عهد عمر بن الخطاب ، وذلك بغية فى تأسيس دعائم حكمهم على مواقع من ساحل السند وكجرات ، فى تهانة (تانة) بالقرب من بومباى ، وبهروج (بروص) ، وديبل بالقرب من كراتشى

أما الالفاظ السنسكريتية التى دخلت العربية قديما ، فمنها ألفاظ الملاحة مثل : البارجة ، ودونيج ، وناخوذة ، وكنبار وهو الغزل المفتول من ليف النارجيل لخرز المراكب

ومنها الاحجار الثمينة مثل الياقوت ، والماس ، والدر القلقى ، والبلور ، والسنباذج الذى يعالج به الجوهر

ومنها الافاويه وأنواع الطيب مثل البهار ، والابزآز ، والكافور ، والمسك ، والصندل ، والعود الهندى والمندلى والقمارى والصنفى والقامرونى ، والغار ، والالوة ، والجوزبوا ، والبسباسة ، والكبابة ، والقافلة ، والهيل ، والسنبل ، والنردين ، والرند ، والزباد ، وفأر المسك ، والزنجبيل ، والقسط ،والفوفل، والفلفل ، والقرنفل ، والهرد

ومن العقاقير ومفردات الادوية : الاطريفل ، والهليلج ، والبليلج ، والبلاذر ، والبيش وهو السم

ومن الاخشاب : الساج ، والساسم ، والقنا ، والوشيج ، والسراء ، واليان

ومن الالوان والاصباغ : الارجوان ، والقرمز ، والنيلج ، والهرد ، والبقم ، والصرف ، والورس

ومن المنسوجات : الشيت ، والفوطة

ومن الفواكه : النارجيل ، والموز ، والاترج ، والليمون ، والنارنج ، والتمر الهندى

ومن الحيوانات والطيور : الفيل ، والكركدن ، والطاؤوس ، والجاموس

ومن المعادن : الآنك ، والاسرنج ، والكلس ، والتنكار

ومن المصنوعات المختلفة : الفانيذ ، والانبجات ، والداذى ، والنعال الكنباتية

ومعنى واحد ولا تكون بينهما علاقة ، وانما يقع ذلك على سبيل النوادر بالاتفاق .. الا اذا دلت القرائن على انتقال احداهما من لغة الى أخرى وساعد الاشتقاق على ذلك (١)

فاذا اتفق لفظان متقاربان لفظا ومعنى فى لغتين ، وكان بين أهل تينك اللغتين علاقات متبادلة من تجارة ، أو صناعة ، أو سياسة ، جاز لنا الظن أن احداهما اقتبست من الأخرى .. فاذا كان ذلك اللفظ من أسماء المحاصيل ، أو المصنوعات ، أو الأدوات ، فيرجح الحاقه باللغة السابقة الى ذلك ، كلفظ « المسك » مثلا فانه موجود فى العربية وفى الفارسية وفى السنسكريتية وفروعها .. فاذا عرفنا ان المسك يحمل الى العالم من تونكين ، وتيبت ، ونيبال ، والصين ، وان الهنود القدماء كانوا يحملون الطيب الى الأمم القديمة ويمرون بسفنهم ببلاد العرب ، ترجح عندنا أن العرب أخذوا هذه اللفظة عن الهنود ، كما أخذها الفرس منهم ، أو لعلها انتقلت الى الفارسية من العربية .. لأن الفرس يعدونها عربية ، كما يعدها

---

(١) نلاحظ أنه اذا وجدنا كلمة عربية تقابل كلمة غير سامية لفظا ومعنى ، فلابد أن تكون دخيلة فى العربية عن هذه اللغة ، وقد تكون دخيلة أيضا فى هذه اللغة من لغة أخرى . واذا قابلت كلمة عربية سامية فى لغة أخرى سامية فالارجح أن تكون الكلمة سامية أصلية ، ورثتها العربية واللغة السامية الاخرى عن السامية الام . والقول بأن لفظة عربية دخيلة من لغة سامية ، نستنتجه من تحقيق لفظ الكلمة ومعناها ، وكيفية استخدامها فى العربية وفى اللغة الاخرى والصلة بينها وبين سائر الفاظها . ونعتبرها دخيلة اذا كان الاشتقاق واضحا للكلمة فى احدى اللغتين وينعدم فى الاخرى . فاذا قلنا « منافق » دخيلة فى العربية من الحبشية ، فذلك لأن فعل « نفق » فى العربية معناه راج أو رغب فى الشيء ، وعلل العرب معناه الدينى « ستر الكفر فى القلب واظهار الايمان » من خروج البربوع من نافقائه . أما فى الحبشية ففعل « نفق » معناه قسم أو شطر . فالمنافق هو المقسم القلب قبل الايمان ، وظاهره يخالف باطنه

واذا قلنا « تاب » دخيلة فى العربية من الآرامية ، فذلك أن « تاب » مادتها الاصلية ثاب فى العربية بمعنى الرجوع وفى العبرية «شوب» ، وهى فى الآرامية تاب ، ونستدل على وجود تاب بالتاء لا بالثاء بمعنى معين فى العربية ، أنها أخذتها من الآرامية

العرب فارسية .. أو هى فى الفارسية باعتبار انها فرع من السنسكريتية كما هى فى الانجليزية بطريق التفرع ، وكما هى فى اللاتينية لأنها أخت السنسكريتيــة ، ومن اللاتينيــة انتقلت الى الفرنســية لأنها فرع من اللاتينية (١)

ويقال نحو ذلك فى « كافور » فان العرب يعدونها فارسية ، والفرس يقولون انها عربية .. وهى موجودة أيضا فى السنسكريتية ، واللاتينية ، وفروعهما .. فبأيها نلحقها ؟

فى مثل هذه الحال ، يجب البحث فى مصـــدر الكافور .. فاذا علمنا انه يصدر من اليابان والصين ومن ملقا ، وأن اسمه باللغة الملقية «كابور» ترجح عنـــدنا انه ملقى الأصـــل . وكذلك « الزنجبيـــل » ــ الجذور المعروفة ــ فان العرب يقولون انها تعريب « شنكبيل » فى الفارســية ، والفرس يقولون انها عربية .. ولم نجد «شنكبيل» فى القاموس الفارسى . واذا بحثنا عن اسم هذا العقار فى اللغات الأخرى ، رأينا اسمه فى اليونانية « زنجباريس » وفى اللاتينية « زنجبار » فأول ما يتبادر الى الذهن انه من « زنجبار » البلد المعروف ، وانه سمى بذلك لأنه كان يحمل منه أو لسبب آخر .. فاذا رجعنا الى منبت هذا العقار ، رأيناه هنديا .. ورأينا اسمه فى اللغة السنسكريتية « زرنجابيرا » مشـــتقة من « كرينجا » أو « زرنجا » أى القرن ، لمشابهة جذوره به .. فيترجح عندنا انه سنسكريتى الأصل

ومن هذا القبيل « الفلفل » فان العرب يقولون انه فارسى ، والفرس يقولون انه عربى .. وهو موجود أيضا بمثل هذا اللفظ فى الانجليزية ، والالمانية ، واللاتينية ، ويوجد أيضا فى السنسكريتية ، ويلفظ فيها «بالا» أو «فيفالا» ولما كان الفلفل من محاصيل الهند ، وأجوده يرد من مالابار ، ترجح ان هذه اللفظة سنسكريتية الأصل . ومعنى « ببالا » عندهم أيضا

(١) المسك أصلها سنسكريتية ، دخلت الفارسية مشك ، ومنها دخلت الارامية مشكا . ومن الارامية دخلت العربية بعد ابدال الشين سينا

« التينة المقدسة » (١)

ويقال عكس ذلك فى الألفاظ الدالة على محاصيل بلاد العرب أو حيواناتها ، كالقهوة مثلا .. فانها موجودة فى الفارسية وفى كل لغات أوربا ، فالأرجح انها عربية الأصل لأن هذه اللفظة كانت عند العرب قبل اصطناع القهوة اسما من أسماء الخمر .. فأطلقوها على قهوة البن . ومثل ذلك أسماء الجمل ، والزرافة ، والغزال ، وغيرها من أسماء الحيوانات العربية .. وربما كان بعضها مأخوذا فى الأصل من لغة غير عربية

واذا كانت اللفظة المشتركة بين لغتين من قبيل المصنوعات ، فالحاقها بأصحاب تلك الصناعة من الامتين أولى .. فقد اختلط العرب بالفرس

---

(١) قال أبوزيد السيرافى فىسلسلة التواريخ (باريس ١٨٤٥) صفحة ١٣٧ يصف مايستورد من الهند « ... بحر الهند والصين الذى فى بطنه اللؤلؤ والعنبر ، وفى جباله الجوهر ومعادن الذهب ، وفى أفواه دوابه العاج ، وفى منابته الابنوس ، والبقم ، والخيزران ، وشجر العود ، والكافور ، والجوزبوا ، والقرنفل ، والصندل ، وسائر الافواه الطيبة الزكية ، وطيوره الفغاغى (يعنى الببغاوات والطواويس) ، وخرشات أرضه الزباد ، وظباء المسك ، ومالايحصيه أحد لكثرة خيره »

وفى أبيات لأبى الاصلع الهندى جمع فيها الكثير من مستوردات الهند (المعجم للمرزبانى صفحة ٥١٣ ، والآثار للقزوينى صفحة ٨٥ ، والحيوان ٧/٥٠ ، ٧/١٧١ ، والفهرست لابن النديم ١٦٤ ، ١٧٤)

لقد أنكر أصحابى ، وماذلك بالامثل
اذا مامدح الهند وسهم الهند فى المقتل
لعمرى انها ارض اذا القطر بها ينزل
يصير الدر والياقوت والدر لمن يعطل
فمنها المسك والكافور والعنبر والمندل
وأصناف من الطيب ليستعمل من يتفل
وانواع الافاويه وجوز الطيب والسنبل
ومنها العاج والساج ومنها العود والصندل
وان التوتيا فيها كمثل الجبل الاطول
ومنها الببر والنمر ومنها الفيل والدغفل
ومنها الكرك والببغاء والطاءوس والجوزل
ومنها شجر الرانج والساسم والفلفل
سيوف مالها مثل قد استغنت عن الصيقل
وأرماح اذا ماهزت اهتز بها الجحفل
فهل ينكر هذا الفضل الا الرجل الاخطل ؟

وخاصة بعد الاسلام ، وأخذوا منهم كثيرا من الملابس والانسجة ، ولم ينقلوها الى لســانهم .. بل عربوها وأبقوها على ما هى ، كالسراويل ، والقباء (ومنها الجبة) والتبان ، والجورب ، والديباج ، والارجوان ، والسرموج ، والقفطان ، والطربوش ، والبابوج .. كما فعل أهل هــذا العصر بأسماء الملابس الافرنجية التى اقتبسوها من الافرنج فى تمدنهم الأخير ، كالبنطلون ، والجاكت ، واللستيك ، وغيرها ..

***

واقتبس العرب من الفرس كثيرا من ألوان الاطعمة ، وأنواع الاسلحة والفرش والادوات ، وأبقوها على لفظها الاعجمى .. وهى كثيرة ، يضيق هذا المقام عن ذكرها ، ومنها الجلاب ، والجلنار ، والبنفسج ، والخشاف ، والخوذة ، والدسكرة ، والدولاب ، والدهقان ، والسرجين ، والسرداب ، والطنبور ، والفرسخ ، وغيرها كثير .. فالحاقها بلغاتها الاصلية ، يسوغه أولا التاريخ لأنه يدلنا على ان العرب اقتبسوا تلك المواد من الفرس ، فاذا تأيد ذلك بالاشتقاق اللغوى ، كان الدليل أثبت .. مثل « جلاب » فانها مؤلفة فى الأصل الفارسى من « كل آب » أى ماء الزهر . و«خشاف» من « خوش آب » و « سرداب » من « سرد آب » أو « سردابه » بيت الثلج من « سرد » أى بارد و « آب » ماء والطربوش من « سربوش » أى غطاء الرأس . والبابوج من « بابوش » أى غطاء القدم

وكثيرا ما يكفى الاشتقاق اللغوى وحده فى معرفة أصل اللفظة ، بشرط ملاحظة مقابلة اللغات . .فاذا وجدنا لفظة فى العربية ، ومثلها فى الفارسية أو اللاتينية أو اليونانية مثــلا ، ولم يساعدنا التاريخ على معرفة حقيقة أصلها ، عمدنا الى اشتقاقها وصيغتها ، فاذا لم يكن لها مجانس فى أخوات العربيــة ، وكان لها ذلك فى اخوات الفارسية أو اللاتينية أو اليونانية ، نرجح انها من احدى هذه اللغات مثل « البلاط » بمعنى « قصر الملك » فقد عدها العرب عربية ، وشقوها من البلاط المعروف لأن القصور تفرش به. ولكن هذه اللفظة فى اللاتينية Palatium ومعناها قصر الملك . فاذا

ادعى مدع انها عربية الأصل ، وان الرومان اقتبسوها من العرب ، قلنا ان الرومان يرجعون بأصلها الى تل كان فى رومية بهذا الاسم ، نزل عليه أوغسطس قيصر وأقام فيه ، فسمى قصره به .. واذا أعجزنا الدليل التاريخي ، عمدنا الى الاشتقاق .. فان Pala فى السنسكريتية معناها الحامى أو المدافع ، وكان الملوك القدماء انما يبنون القصور للتحصن بها..

وقد لايهدينا التاريخ مطلقا كما فى لفظ « جاموس » فان التاريخ لايساعدنا على معرفة أصلها ، هل هى عربية أو فارسية ، فاذا رجعنا الى الاشتقاق لم نر لها اشتقاقا فى العربية ، أما فى الفارسية فانها مركبة من لفظين « كاو » ثور أو بقرة و « ميش » كبش ، ولكن الجاموس هندى الأصل .. ومعنى « جاوميشا » فى السنسكريتية « البقرة الكاذبة » (١)

عود

وبالجملة فقد دخل العربية ألفاظ كثيرة من معظم اللغات التى كانت شائعة فى التاريخ القديم ، ممن خالط العرب كالمصريين القدماء ، والحثيين ، والفينيقيين ، والكلدان ، والهنود ، والفرس .. حتى الزنوج والنوبة وغيرهم مما لم يعد تمييز أصله ممكنا لتقادم عهده واختلاف شكله

ومن أمثلة ما أخذوه عن اللغة المصرية القديمة الهيروغليفية لفظ «قبس» بمعنى الشعلة ، فهى فى الهيروغليفية « خبس » ومعناها مصباح . وبعض تلك الاقتباسات أخذها العرب رأسا عن أصحابها ، والبعض الآخر حملت اليهم على يد الأمم الأخرى ، كما نقل لهم اليهود لفظ « نبى » من اللغة

(١) ذكر صاحب مباهج الفكر ومباهج العبر ، الشيخ برهان الدين ابراهيم بن شرف الدين يحيى الوراق (مخطوطه بدار الكتب طبيعة رقم ٣٢٤ ورقة ١٢١) عن الجاموس ما نصه : « يقال ان سبب اخراجها من معادنها ، هو ان الطريق الذى بين أنطاكية والمصيصة ، كانت مسبعة ، فشكى ذلك الى الوليد ابن عبد الملك ، فحمل فيها أربعة ألف جاموس وجاموسة ، مما كان الحجاج بن يوسف بعث به ، لما فتح بلاد الزط من أرض الزط ، على يد محمد بن القاسم . وجعل ألفى جاموس وجاموسة فى آجام كسكر لما بنى واسط ، فهربت السباع حتى لا بقى منها شىء »

المصرية القديمة « الهيروغليفية » وأصل معناه فيها « رئيس العائلة » أو « رب المنزل » (١)

وكما نقل لهم الفرس « الشطرنج » عن اللغة الهندية السنسكريتية ، فحسبها العرب فارسية .. وقالوا انها تعريب « شترنك » بالفارسية ، ومعناها ستة ألوان ــ ولعلهم يريدون « ششرنك » ــ والصواب انها لعبة هندية قديمة ، كانت تسمى فى اللغة السنسكريتية « شتورنكا » أى الاجزاء الاربعة التى يتألف منها الجند عندهم .. وهى الافراس ، والافيال، والمركبات ، والمشاة .. فأخذها الفرس عنهم نحو القرن السادس للميلاد ، ثم أخذها العرب عن الفرس فحسبوها فارسية ، وتكلفوا فى تعليلها كما رأيت

ولم يقتصر العرب على اقتباس الألفاظ من اللغات الأخرى واستبقائها على حالها ، ولكنهم صرفوها وشقوا منها الأفعال ، ونوعوا معناها على ما اقتضته أحوالهم .. فقد شقوا من لفظ النبى : « نبأ » و « تنبأ » و « نابأ »

وشقوا من قبس أفعالا وأسماء عديدة

ومن هذا القبيل « اللجام » وهو من « لكام » فى الفارسية ، فشقوا منه أولا « ألجم الدابة » ألبسها اللجام و « التجمت الدابة » مطاوع ألجم . وجمعوا لجام على لجم وألجمه ، ثم استخدموه مجازا فقالوا : « لجمه الماء » أى بلغ فاه ، وقالوا « لفظ لجامه » أى انصرف من حاجته مجهودا من الاعياء والعطش .. وقولهم « التقىّ ملجم » أرادوا به انه مقيد اللسان والكف

والمهر الخاتم فى الفارسية ، استعاره العرب وبنوا منه فعلا ، فقالوا : مهر الكتاب أى ختمه بالمهر

ومن ذلك ما شقوه من لفظ « ديوان » وهى اعجمية فقالوا : « دوّن »

---

(١) انظر الفلسفة اللغوية والالفاظ العربية لجرجى زيدان ، طبعة جديدة راجعها وعلق عليها الدكتور مراد كامل ، دار الهلال ، صفحة ١١٢ هامش (١)

أى كتب اسمه فى الجندية

وقس على ذلك كثيرا من الالفاظ الدخيلة التى يعتقد العرب انها عربية ، وقد شقوا منها الافعال والاسماء مثل « سراب » وهى تعريب «سيرآب » فى الفارسية أى مملوء ماء . والزمهرير من « زم اريز » بالفارسية أى ضباب بارد . وجزاف من « كزاف » بالفارسية أى العبث من الكلام . والضنك من « تنك » فى الفارسية ضيق ، وقد شقوا منها أفعالا وأسماء ترجع الى هذا المعنى

ثم ان أكثر ما ادخله العرب الى لغتهم من الالفاظ الاجنبية ، لم يكن له ما يقوم مقامه فى لسانهم (١) على ان كثيرا منه كانت له عندهم أسماء

---

(١) يأتى الدخيل من اتصال أمة بأمة ، عن طريق الجوار ، أو التجارة ، أو المعاملة ، أو المصادقة ، أو الحرب ، وفى العصور الحديثة عن طريق المكاتبة أو المطالعة

ولايشترط فى الدخيل أن تأتى الكلمة مطابقة كل المطابقة للكلمة الواردة فى اللغة التى أخذ عنها . فقد يؤخذ بعض معناها أو يتصرف فيه ، وقد يدخل عليه التصحيف

كما أنه ليس من اللازم أن تعرب الكلمة الدخيلة لحاجة الناس اليها أو الى معناها . وقد ذهب كثير من اللغويين ، أن كلمة كذا وكذا غير معربة لان العرب لم يحتاجوا اليها ، وأن مسماها موجود عندهم ، أو لان فى لغتهم مايغنى عنها ، أو لعدم حاجتهم اليها . لكن السلف ادخلوا الفاظا أعجمية لانهم حاولوا أن يكلموا من يفهم تلك الكلمة ، أو لأن اللفظة الدخيلة طبعت فى النفس طابعا لاتؤدى به اللفظة العربية ، أو لانهم أرادوا أن يبهروا السامع بمعرفتهم بمعانى بعض الالفاظ الاعجمية ، الى غير ذلك من الاسباب

مثال ذلك ماجاء فى لسان العرب فى مادة (س,ور) : « وفى حديث جابر بن عبد الله الانصارى : أن النبى ، صلى الله عليه وسلم ، قال لاصحابه : قوموا ، فقد صنع جابر « سورا » . ــ قال ابو العباس : وانما يراد من هذا أن النبى ، صلى الله عليه وسلم ، تكلم بالفارسية ، صنع سورا أى طعاما ، دعا الناس اليه » . وقد كان فى أستطاعة الرسول أن يقول : صنع طعاما ، أو وليمة ، أو أدب مأدبة ، لكنه عدل عن ذلك ، لأن « سورا » الفارسية ، طبعت فى النفس طابعا لايحس به ، اذا أتى بلفظة أخرى

ويعرف الدخيل فى العربية بكثرة أحرفه عادة ، وبأنه لا صيغة له ولا اشتقاق فى العربية ، ولهذا تكثر فيه اللغات

وقد يتحكم العرب فى معنى الدخيل ، أو يفرغوها فى قالب يخالف الاصل ، أو يأخذون من الدخيل الجمع لفظا مفردا ، أو قد يقطعون الكلمة الى مقطعين ، ويحتفظون بمقطع منهما

مشهورة .. لايبعد أن يكون بعضها دخيلا أيضا ، فغلب استعمال الدخيل الجديد وأهمل القديم . من ذلك ان العرب كانوا يسمون الابريق « تامورة » والطاجن « مقلى » والهاوون « منحاز » أو « مهراس » والميزاب « مثقب » والسكرجة « الثقوة » والمسك « المشموم » والجاسوس « الناطس » والتوت « الفرصاد » والاترج « المتك » والكوسج « الاثط » والباذنجان « الانب » والرصاص « الصرفان » والخيار « القتد » .. فهذه الاسماء وأمثالها ، أهملها العرب قبل الاسلام، بعد أن استبدلوها بأسماء دخيلة .. فعلوا ذلك عفوا بلا تواطؤ أو قصد ، وانما هو ناموس النمو يقضى عليهم بذلك (١)

---

(١) من الواضح ان كثيرا من المسميات العربية أهمل وحل محله الدخيل فى العصور القديمة ، ولاتزال هذه الظاهرة قائمة الى الآن . فان ذوق العصر يتحكم فى اختيار الكلمة ، لما يحسه فيها من قوة أو خفة ، أو رشاقة ، أو حسن أسلوب ، أو تدفق حياة ، أو جرس عذب . وقد تسقط اللفظة العربية الاصيلة امام لفظة دخيلة تحل محلها . وقد ساق جرجي زيدان أمثلة لذلك ، ونسوق أمثلة أخرى :

البورق هو الحكاك والنرجس هو القهة والقهد والعبهر ، والاسفيداج هو الغمنة ، والبلور هو المها ، والجوارش هو الهاضوم والقميحة والقمحة ، واللوزينج هو الشندخ ، الفالوذج هو الملوحى والمزعزع والمزعفر واللمص واللواحى والمرطراط والسرطراط ، والجوالق هو الجشير ، الاخريص هو البنيقة والسبجة ، والفيل هو الزندبيل والكلثوم ، والترياق هو المسوس ، والقناة أو الترعة هى الطبع ، والمصران الاعور هو الممرغة ، والنيزك هو المزراق ، والبزرقطونا هو البحدق ، والعربون هو المسكان ، وفرند السيف هو سفسفة السيف ، والفرزدق هو المشنق والعجور ، والمنجنيق هو الخطار ، والسوسن هو الرفيف ، والصندوق هو الصوان ، والجؤذر هو القهد ، والاستاذ هو المخرج ، والالماس هو السامور ، والعذيوط هو الثت والثموت ، والاسطوانة هى اللائطة والسارية ، والشرطة (وهى يونانية) هى الزاعة والذبيون ، والبرواز هو الاطار ، والفيل هو الشمشل ، والكراوية هى النقدة ، والبندق هو الجلوز ، والكزبرة هى التقدة ، والبرجار هو الدراوة ، والتلميذ هو الخريج ، والهندباء هى اللعاعة ، والفسطاط هو الروق ، والباطية هى الراووق ، والدسكرة هى الدسبعة ، والكوسبج هو اللخم ، والاترج هو العرف والمتك ، والطاولة هى المنضد ، والبيرة هي الجعة والمزر ، والجورب هو المسماة ، والسردين هو العرم ، والشمعدان هو المشمعة

التغيير فى الالفاظ

ذكرنا فيما تقدم أمثلة مما دخل اللغة العربية من الالفاظ الاجنبية قبل زمن التاريخ الذى عبرنا عنه بالعصر الجاهلى .. ونذكر الآن ما لحق ألفاظها الاصلية من التنوع والتفرع فى ذلك العصر . والادلة على ذلك كثيرة ، نكتفى منها بالواضح الصريح .. فنذكر أولا ما نستدل عليه من مقابلة العربية بأخواتها العبرانية والسريانية ، ثم ما تشهد به حال اللغة العربية نفسها

مقابلة العربية بأخواتها

من الحقائق المقررة ، ان العربية والعبرانية والسريانية ، كانت فى قديم الزمان لغة واحدة ، كما كانت لغات عرب الشام ومصر ، والعراق ، والحجاز ، فى صدر الاسلام (١) . فلما تفرق الشعب السامى ، أخذت لغة كل قبيلة

(١) لاحظ العلماء العرب التشابه بين العربية والعبرية والسريانية . يقول ابن حزم : « آن الذى وقفنا عليه ، وعلمناه يقينا ، آن السريانية والعبرانية والعربية ، التى هى لغة مضر وربيعة — لا لغة حمير — واحدة ، تبدلت بتبدل مساكن أهلها ، فحدث فيها جرس كالذى يحدث من الاندلسى اذا رام نغمة أهل القيروان .. ومن القيروانى ، اذا رام لغة الاندلسى ، ومن الخراسانى ، اذا رام نغمتها . ونحن نجد من سمع لغة أهل « فحص البلوط » وهى على ليلة واحدة من قرطبة ، كاد يقول : أنها لغة أخرى غير لغة أهل قرطبة . وهكذا فى كثير من البلاد ، فانه بمجاورة أهل البلدة بأمة اخرى ، تتبدل لغتها تبدلا لايخفى على من تأمله »

ونحن نجد العامة قد بدلت الالفاظ فى اللغة العربية تبديلا ، وهو فى البعد عن أصل تلك الكلمة كلغة اخرى ، ولا فرق ، فتجدهم يقولون فى « العنب » العينب ، وفى « السوط » أسطوط ، وفى « ثلاثة دنانير » ثلثدا . واذا تعرب البربرى ، فأراد أن يقول « الشجرة » قال : السجرة . واذا تعرب الجليقى أبدل من العين والحاء : هاء ، فيقول « مهمد » اذا أراد أن يقول « محمد » ومثل هذا كثير

فمن تدبر العربية والعبرانية والسريانية ، أيقن أن اختلافها فى نحو ماذكرناه من تبديل ألفاظ الناس على طول الازمان ، واختلاف البلدان ، ومجاورة

تتنوع بالنمو والتجدد على مقتضيات أحوالها ، فتولدت منها لغات عديدة .. أشهرها اليوم العربية ، والعبرانية ، والسريانية .. كما تفرعت عربية قريش بعد الاسلام الى لغات الشام ، ومصر ، والعراق ، والحجاز ، وغيرها . ولكن الفرق بين فروع اللغة السامية ، أبعد مما بين فروع اللغة العربية ، لتقيد هذه بالقرآن وكتب اللغة . فاذا راجعت الالفاظ السامية المشتركة فى العربية واخواتها ، رأيت مدلولاتها قد اختلفت فى كل واحدة عما فى الاخرى . والأدلة على ذلك لا تحصى ، اذ لا تخلو المعجمات من شاهد أو غير شاهد فى كل صفحة من صفحاتها .. فنكتفى بالاشارة الى بعضها على سبيل المثال ..

فلفظ « الشتاء » فى العربية مثلا هو أصل مادة « شتا » فى القاموس ، وكل مشتقاتها ترجع فى دلالتها الى معنى الشتاء (الفصل المعروف) ، فقالوا : شتا فى المكان ، أقام فيه شتاء ، وشتا فلان دخل فى الشتاء ، وأشتى القوم اشتاءً أجدبوا فى الشتاء .. الخ

ولم يدلنا صاحب القاموس على أصل هذا المعنى فى هذا اللفظ ، ولكنه أورد رأى المبـرِّد فى ذلك ، فقال ان الشتاء « جمع شتوة » وان الشتوة « الغبراء التى تهب فيها الرياح والارض يابسة فيهيج الغبار » وفى قوله تكلف .. على اننا اذا راجعنا هذه المادة فى اللغات السامية ، رأينا الأصل فى دلالتها « الشرب » أو « الرى » أو « الصب » فهى كذلك فى العبرانية والسريانية الى اليوم . وقد شقوا منها الأفعال والأسماء لمعان كثيرة ترجع

الامم ·· وانها لغة واحدة فى الاصل »

وقد ظهر الى جانب ابن حزم من علماء الاندلس ، من اهتم بمقارنة العبرية والسريانية والعربية ، نذكر منهم « يهودا بن قريش » الذى عاش حوالى سنة ثمانمائة ميلادية ، و « يهودا حيوج » الذى عاش حوالى سنة الف ميلادية ، و « ابن عزرا » الذى عاش فى حوالى سنة الف ومائة بعد الميلاد . وكان غرض هؤلاء العلماء من دراستهم اثبات القرابة بين هذه اللغات ·· فلاحظوا التشابه المطرد بين الاصوات فى المفردات العبرية والمعربية ، وشملت دراستهم الصيغ والمفردات . هذا وقد استغلوا معرفتهم بالعربية والسريانية فى شرح ماغمض عليهم من معانى الالفاظ العبرية أو اشتقاقها

الى الرى ونحوه .. الا فصل الشتاء فانهم شقوا له كلمة من أصل آخر يقرب منه لفظا . ويؤخذ من مراجعات كثيرة ان المادة الاصليــة (شتا) كانت تدل على الرطوبة أو الرى فى اللغة السامية ، فلما تفرقت القبــائل كما تقدم ، تولدت منها المشتقات وتنوعت معانيها على مقتضى الأحوال ، فتولد منها لفظ الشتاء للمعنى المعروف له فى العربية ، وأهمــل معنى الشرب أو الرى منها . ومع ذلك فلو تدبرت مشتقات هــذه اللفظــة فى أخوات العربية ، لرأيتها تختلف الواحدة عما فى الاخرى

واذا بحثنا عن لفظ « شهر » فى العربية بالمقــابلة مع أخواتها ، رأينــا الأصل فيه الدلالة على الاستدارة ، ثم سموا القمر به لأنه مستدير ، ثم أطلقه العرب على الشهر لأنهم كانوا يوقتون بالقمر . على ان دلالته على القمر لاتزال باقية فى العربية الى اليوم ، وكذلك فى السريانية (سهرا) تدل عندهم على الشهر والقمر . وأما العبرانية فان للقمر فيها لفظا مشتقا من مادة أخرى هى (يَرَح) والأصل فى معناها «الدوران» فاشتقوا منها « يارح » للدلالة على القمر وعلى الشهر . ومن هذه المادة فى العربيــة « رواح » أى العشى . فكانوا يقولون : « راح فلان » أى جاء أو ذهب فى العشى .. أى ان أصل المعنى راجع الى « العشى » بغير تقييد بالذهاب أو المجيء مثل قولهم : أصبح وأمسى .. ثم غلبت فيها الدلالة على الذهاب فى العشى ، ثم صارت للدلالة على مطلق الذهاب .. حدث كل ذلك التنوع بلا قصد ولا تواطؤ

ومن بقايا « يَرح » فى العربيــة ، مادة أشكل على أئمة اللغة معرفة أصلها ، فعدّها بعضهم فارسية ، وعدّها آخرون يونانية ، واكتفى غيرهم بأنها غير عربية . وهى فى الحقيقة سامية الأصل ، نعنى بها لفظ « آرخ » أو «ورّخ» أو « أرّخ » بمعنى وقّت ، والأظهر عندنا انها من بقايا اسم الشهر عنــدهم « يرح » ــ والابدال بين الخاء والحاء هيّن ــ ومنه « التاريخ » تعريف الوقت ، ثم تنوع معنى هذه اللفظة ، فصاروا يدلون بها على علم التاريخ ، أى ذكر الوقائع والحوادث

ومن هذا القبيل « كتب » فان الأصل فى دلالتها « حفر فى الحجر ، أو الخشب » فالظاهر انهم استعملوها فى أول عهدهم بالكتابة ، وكانوا يكتبون على الحجارة أو الخشب حفرا أو نحتا ، شأن الكتابة عند الأمم القديمة . فلما صاروا يكتبون بالمداد على الرقوق أو الاقمشة ، تحوّل معناها الى الكتابة المعروفة ، ولم يبق لدلالتها على الحفر أثر فى العربية ، وان كنا نرى أثر ذلك فى « قطب » ونحوها من تفرعات « قط » حكاية صوت القطع . فيلوح لنا ان الأصل فى دلالة كتب (أو قطب) على الحفر، انهم كانوا يقولون مثلا « قط بالخشب » أى قطع فى الخشب أو حفر الخشب ، ثم ألصقوا الباء بالفعل فصار « كتب » أو « قطب » كما ألصق عامتنا الباء المذكورة بفعل المجىء ، فبدلا من أن يقولوا « جاء به » قالوا « جابه » وصرفوه فقالوا « يجيبه ، وجابوه ، ويجيبوه » بدلا من « يجىء به ، وجاءوا به ، ويجيئون به .. »

ومثل « كتب » أيضا « سطر » فانها كانت تدل فى الأصل على الحفر، ثم تحوّل معناها للدلالة على الكتابة للسبب عينه . ولا تزال « سطر » تدل على الحفر أيضا فى العبرانية ، وأما فى العربية فقد بقيت الدلالة على ذلك فى لفظ مجانس لها هو « شطر » أو نحوها

وكثيرا ما تحوّل المعنى فى بعض الألفاظ بانتقاله من الكل الى الجزء ، أو من الصفة الى الموصوف مثل « اللحم » فى العربيــة ، فان معناها فى اللغات السامية « الطعام » على اجماله ، ثم خصصه العرب بالدلالة على أهم الأطعمة عندهم وهو اللحم ، وصار فى السريانية يدل على الخبز

والأصل فى « طبخ » الدلالة على « الذبح » واللفظـان متشـابهان ، فتحوّل معناها فى العربية الى معالجة اللحم للطعام ، واستعملوا للذبح كلمة تقرب منها لفظا

و « الملح » أصل دلالته فى اللغات السامية كلها من « ملح أو ملأ » أى نبع الماء . ثم تحوّل معناها الى أكبر مستودعات المـاء وهو « البحر » ونظرا لظهور الملوحة فى مياه البحار أكثر من سائر صفاتها ، ولأن الملح

يستخرج منها سمّوا الملح بها . والظاهر ان هذه اللفظة كانت فى أمهات اللغات السامية والآرية قبل تفرقها .. فان اسم البحر فى اليونانية يشبه أن يكون مبدلا من « ملح » أو أن تكون ملح مبدلة منه ، وكذلك فى اللغة السنسكريتية

و « انبو » كانت تدل فى اللغة السامية الأصلية على « الثمر » عموما ، وما زالت تدل على ذلك فى اللغة الاشورية ، والآرامية . أما فى العبرانية فقد أدغمت النون فى الباء وعوض عنها بالتشديد فصارت (آبه) بتشديد الباء ، عملا بقاعدة جارية فى نحو ذلك باللغة العبرانية .. ثم شقوا من هذه اللفظة فعلا فقالوا (ابب) بمعنى أثمر ، وأما فى السريانية فقد أصاب هذه اللفظة نفس ما أصابها فى العبرانية ، وصارت (ابا) وهى تدل عندهم على الفاكهة ، كالتين، والبطيخ ، والزبيب ، واللوز، والرمان. وأما فى العربية ، فقد حدث نحو ذلك ، ولكن « الأب » صار عندهم للدلالة على الكلأ والمرعى أو ما أنبتت الأرض وقالوا : « الأب للبهائم كالفاكهة للناس »

***

وتحولت « انبو » أيضا بالابدال الى « عنبو » ومنها « عنب » للدلالة على نوع واحد من الأثمار هو ثمر الكرم ، وهذه دلالتها الآن فى اللغات العربية ، والعبرانية ، والسريانية ، بعد أن كانت تدل فى أقدم أزمانها على الثمر عموما

ويقال نحو ذلك فى « عبـد » فانها فى اللغات السامية تدل على العمل ، وخاصة الحرث فى الحقل ، ولم يبق من مشتقات « عبـد » فى العربية ما يدل على معناها الأصلى الا « المعبدة » أى « المجرفة » أو « المحراث » . وفيما خلا ذلك فان عبـد ومشتقاتها انما تدل على العبادة ، ومنها «العبد» أى الرق و « التعبّد » لأن خدمة الحقول كان أكثرهم من الأرقاء . ولما كان أكثر الأرقاء من الزنوج ، دل المولّدون بلفظ العبد على الزنوج السود خاصة

ومن هذا القبيل « الثلج » والأصل فيه الدلالة على البياض ، ثم أطلق

على أشهر المواد البيضاء

وكذلك « مرءٌ » فان أصل دلالتها فى اللغات السامية على القوة ، ومنها الى الرئاسة ، ومنها الى أقوى الكائنات وهو الانسان . ولا تزال فى السريانية تدل على الرب فقط ، وهى عندهم (مرا) أو « مريا » أما فى العربية فغلبت فيها الدلالة على الرجل . وأما العبرانية ، والسريانية ، فللدلالة على الرجل فيهما ألفاظ أخرى ترجع فى أصل معناها الى القوة . وكأن هذا اللفظ قديم مشترك فى أمهات اللغات فانه فى اللاتينية Vir ونحوه فى الهندية

***

ولهذا السبب استعمل العرب « بعل » للزوج ، وهو يدل فى الأصل على السيد أو الرب .. ومنه البعل اسم أكبر آلهة الشعوب السامية ، ومنها « هبل » كبير أصنام الكعبة .. ويظهر من مراجعة أمهات اللغات الآرية ان هذا اللفظ انتقل منها الى اللغات السامية قبل تفرق شعوبها لأنه فى السنسكريتية « بالا » القوة ، وفى اللاتينية Val - ere قوى .. أو لعل الآريين نقلوه عن الساميين ، أو كان فى اللغة الأصلية قبل افتراق الآريين عن الساميين

ومن أمثلة ما فقد أصله من الألفاظ السامية فى اللغة العربية وبقى فرعه لفظ « الشعر » بمعنى المنظوم .. فقد شقه صاحب القاموس من « شعر الرجل » بمعنى فطن وأحس ، فقال : « وسمى الشاعر شاعرا لفطنته وشعوره » ويلوح لنا من خلال هذا التعليل تسامح لايرتاح اليه العقل . والأظهر عندنا ان « الشعر » مشتق من أصل آخر فيه معنى الغناء أو الانشاد أو الترتيل ، فقد من العربية وبقى فى بعض أخواتها .. ففى العبرانية أصل فعلى لفظه (شور) ومعناه صات أو غنى أو رتل ، ومن مشتقاته (شير) قصيدة أو أنشودة ، وبها سمى نشيد الأناشيد فى التوراة ، وأمثاله من القصائد أو الأناشيد التى رتلها اليهود فى أسفارهم أو حروبهم . واليهود أقدم اشتغالا بالنظم من العرب .. فالظاهر أن العرب

أخذوا عنهم كلمة « شير » للقصيدة أو الأنشودة ، كما أخذوا غيرها من أسماء الآداب الدينية والأخلاقية ، وأبدلوا باءها عينا على عادتهم فى كثير من أمثال هذا الابدال .. فصارت « شعر » ، أطلقوها على الشعر باجماله . فلما جمعت اللغة عدوا هذا اللفظ من مشتقات « شعر » . وأما أصل مادة « شور » فقد ذهب من العربية . والقياس فى مقابلة الألفاظ بين العربية والعبرانية ، يقضى أن تلفظ هذه الكلمة فى العربية « سور » بالسين ولا نجد فى هذه المادة عندنا ما يماثل هذا المعنى ، الا اذا اعتبرنا تسمية فصول القرآن سورا واحدتها « سورة » فيكون المراد بها الأنشودة أو الترتيلة من قبيل التجويد

ومن أمثلة تنوع المعانى أن لفظ « الورق » فى العربية أصله من «يرق» اخضر ، ومنه ورق الشجر لاخضراره ، ولايزال من هذه المادة فى العربية « اليرقان » للمرض المعروف وهو اخضرار الجلد أو اصفراره . وقد شقه صاحب القاموس من « ارق »

وقس على ذلك مئات من الأمثلة ، تشهد على ما لحق ألفاظ اللغة العربية من تنوع معانيها ومدلولاتها قبل زمن التاريخ ، باعتبار مقابلتها بألفاظ أخواتها السامية (١)

---

(١) تشترك اللغة العربية مع سائر اللغات السامية فى الفاظ تشمل نواحى متعددة من الحياة ، ويفترض العلماء أن هذه الالفاظ وجدت فى اللغة السامية الام

منها : بعض أسماء الانسان وأحواله مثل : أناس ، وذكر ، وانثى ، وأب ، وأم ، وابن ، وبنت ، وبكر ، وأخ ، وبعل ، وأمة ، وضرة . ومن الافعال التى تتصل بهذه الاسماء : ولد ، وود ، وملك ، ونكر

ومنها أسماء الحيوانات مثل : نمر ، وذئب ، وكلب ، وخنزير ، وابل ، وثور ، وحمار ، ونسر ، وعقرب ، وذباب . ومن الافعال : نبح

ومنها أسماء النباتات وأجزائها مثل : عنبه ، وثوم ، وقثاء ، وكمون ، وزرع ، وسنبلة

ومن أعضاء الجسم : راس ، وعين ، وأذن ، وأنف ، وفم ، ولسان ، وسن ، وشعر ، ويد ، وحفنة ، وظفر ، وركبة ، وكتف ، وذنب ، وقرن ، وعظم ، ولب ، وكرش ، وكبد ، وكلية ، ونفس ، ودم ، ومثانة

ومن الافعال والاوصاف التى تعود الى هذه المسميات : سمع ، وطعم ،

←

وشيب ، ويمين ، وموت ، وخنق ، وقبر

ومن أجزاء الكون والارض : سماء ، وكوكب ، وشمس ، وأرض ، وحقل ، وماء ، ومنبع ، وبئر ، وأثر ، وقتار ، وعضة

ومن الافعال والاحداث التابعة لها : ظل ، ويوم ، وليلة ، وبرق ، ولهب ، ودلا

ومن أسماء البيت وأجزائه والآلات : بيت ، وعمود ، وعرش ، وقوس ، وخط (ومعناها فى الاصل : السهم) ، وحبل ، واناء . ومن الافعال التى تتبعها : رمى

ومن المأكولات والمشروبات : قمح ، ودبس ، وحمة ، وسكر . واليها تعود أفعال مثل : طحن ، وطبخ ، وبسل ، وقلا

ومن الافعال : كان ، وشام ، ونشأ ، وعلا ، وقدم ، وقرب ، وبكا ، وصرخ ، ونفخ ، وأخذ ، وذكر ، وسأل ، ولبس ، ورحض ، وبل ، ونقل ، ونقب ، وصفر ، وذرى ، ورعى ، وسقى ، وضمد ، وركب ، ونظر ، وفقد ، وكلأ ، وفطر ، وسلم ، وطاب ، وبئس ، وخبل ، وأبد ، وثبر ، ودق ، وقرص ، وقدس ، وخطىء ، وذبح ، وبارك ، وملىء ، ومثل ، وقال ، ووقر ، وعلى ، وحدث ، وسفل ، وفتح ، وورق

ومن الاسماء : وضوء ، ورحم ، ومنى ، وبشر ، وحجر ، واسم ، وكل

ثم أسماء العدد الى العشرة ، وبعدها مائة

وتشترك العربية فى الفاظ مع بعض اللغات السامية ، وهذه الالفاظ اما أن تكون سامية أصلية وزالت من الاستعمال فى بعض اللغات السامية واحتفظت بها بعضها ، وأما أن تكون قد نشأت فى شعبة من شعب اللغات السامية بعد تفرقها من السامية الام

هذا ونجد فى اللغة العربية الكثير من الالفاظ التى اختصت بها العربية عن سائر اللغات السامية . وقد ذهب بعض العلماء الى أن هذه الالفاظ أو أكثرها سامية أصلية سقطت من اللغات السامية الاخرى ، واحتفظت بها العربية

وهذا بعيد الاحتمال ، لان اللغة العربية ترقت وتطورت أكثر من أخواتها من اللغات السامية ، وارتفعت الى درجة من التطور أعلى من سائر اللغات السامية ، وهى بذلك لايمكن أن تكون واقفة جامدة عند أول اللغة

والفرض المحتمل هو أن اللغة العربية أنشأت كلمات جديدة ، وهذا مانشاهده فيها من ميل الى التخصيص ، واختراع عبارات جديدة للتحديد ، من ذلك اختراعها لأدوات نفى خاصة ، واختراعها كلمات جديدة خاصة بأنواع الابل وغير ذلك

على اننا لو اقتصرنا على مراجعة المعجمات العربية وحدها ، لاتضح لنا هذا الناموس بأجلى بيان .. اذ نرى للمادة الواحـدة أو اللفظ الواحد عدة معـان متفرعة من معنى واحـد ، ثم يتنوع المعنى على مقتضـيات الأحوال . ولا نحتاج فى اثبات ذلك الى ايراد الشواهد لأنه بديهى ، وانما يحسن بنا أن نشير الى أسباب ذلك التنوع وهى كثيرة ، وقد ذكرنا بعضها فيما تقدم من الكلام فى مقابلة الألفاظ العربية بألفاظ أخواتها ، كاشتقاق معنى الملح من البحر ، ومعنى الثلج من البياض ، وغير ذلك مما بينه تناسب فى المعنى . وقد تكتسب الكلمة معنى جديدا من عادة أو عقيدة ، مثـل قولهم : « بنى على أهله أو بأهله » بمعنى تزوج . وليس فى أصل فعل البناء هذا المعنى ، وانما اكتسبه من عادة كانت جارية عند العرب ، وهى ان الداخل بأهله كان يضرب عليها قبة ليلة الزفاف . ومن هـذا القبيل تحوّل معنى القمر الى الشهر ، لأنهم كانوا يوقتون بالقمر

ومن أسـباب زيادة النمو فى اللغـة العربيـة غير النحت والابدال والقلب (١) ، التصحيف وهو التبادل بين الحروف المتشابهة شكلا كالباء ،

---

(١) أنظر جرجى زيدان فى الفلسفة اللغوية والالفاظ العربية ، طبعة جديدة راجعها وعلق عليها الدكتور مراد كامل : القلب صفحة ٥٩ ، ٦٠ ، والابدال من صفحة ٦٠ الى صفحة ٦٦ وهامش (٢) صفحة ٦٠ ، والنحت صفحة ٧١ وما يليها ، وهامش (١) صفحة ٧١

أما القلب فالمراد به تقديم بعض أحرف الكلمة على بعضها مع احتفاظ اللفظ بمعناه أو تغيره تغيرا طفيفا . والمقلوب فى كلام العرب كثير . ويسمى القلب المكانى كقولك اعتام الرجل واعتامى ، وشاكى السلاح وشائك السلاح ، والقادة والآفة : الطاعة ، وعاث يعيث وعثى يعثى ، وجذب وجبذ ، وتقرطب الرجل على قفاه وتبرقط : إذا سقط ، والعواطب والعوبط : الذاهية ، وربض ورضب ، وجارية بقعة وقبعة : التى تظهر وجهها ثم تخفيه ، وغلام مبعنق ومعبنق : سيىء الخلق ، والصعبور والصعروب : الصغير الرأس من الناس وغيرهم . وفى اللسان : عقاب عقنباه وعبنقاه وقعنباة وبعنقاة : حـديدة

والتاء ، والثاء ، والنون ، والياء ، أو الجيم ، والحاء ، والخاء ، أو الدال ، والذال ، أو الراء والزاى ، أو السين والشين ، وقس عليه ..

فمن أمثلة ما ورد بمعنى واحد وسببه التصحيف ، قولهم رجل صلب وصلت ، والدبر والدير ، والكرت والكرب ، ورغات ورغاب ، والجلجلة والحلحلة ، وجاض وحاص ، والنافجة والنافحة ، وهو كثير .. وقد ذكر منه علماء اللغة مئات . والغالب ان ذلك التصحيف لم يحدث الا بعد تدوين

المخالب ، وقيل : هي السريعة الخطف المنكرة . وقال الزجاج فى شرح أدب الكاتب : ذكر بعض أهل اللغة : ان الجاهمقلوب من الوجه ، واستدل على ذلك بقولهم ، وجــه الرجل فهو وجيــه : اذا كان ذا جاه ، ففصلوا بين الجــاه والوجه بالقلب

ومن القلب عندهم ، القلب الذى لايستحيل بالانعكاس مثل : فحت الحية وحفت . ويذهب البعض ان الحفيف من جلدها ، والفحيح من فيها

أما الابدال فالمراد به اقامة حرف مكان حرف آخر ، قد يقاربه مخرجا وربما لا يقاربه ، أو يكون بقلب الحرف نفسه لفظا آخر على معنى احالته اليه . مثال ذلك :

الوأل والوعل والوغل : المؤئل ، والقــرا القرع ، أوق وعــوق ، وماء السنور وماغ أى صاح ، والمأصى والمعصى والمغص : بيض الابل وكرامها ، وريه الحر وزمه : اشتد ، والدمه والذمه والزحه : شدة الحر ، وسيل راعب وزاغب : يمــلأ الوادى ، ورف الطائر وزف : اذا بسط جناحيــه ، والافز والقفر والافر : الوثب ، وتيس مشعنب ومشغنب : التيس الذى يستقيم قرنه ثم يلتوى على رأسه قبل أذنه ، وجار عن الحق وجاص عنه : عدل عنه ، وطوى الثوب على عروضه وعلى غروره ، ومشية سرح وسجح : أى ســهلة

وقد يجتمع القلب والابدال معا فى كلمة واحدة مثل سما الشىء وسمق وشمنح ، والقعسر والقشعر : صغار البطيخ ، والحفث والفحث والحتف والحضف والخضف والخصب : الحيــة ، والبلعس والدلعس والدلعك : الضخمة من النوق ، وافهفت الشىء واتخفض بمعنى واحد

أما النحت فهو ناموس فاعلى على الالفاظ ، وغاية ما يفعله فيها انما هو الاختصار فى نطقها تسهيلا للفظها ، واقتصادا فى الوقت بقدر الامكان

وقد ذهب ابن فارس الى أن الالفاظ الزائدة على ثلاثة أحرف ، أكثرها منحوت مثل قول العرب للرجل الشديد « ضبطر » من ضبط وضبر ، و « الصلدم » من الصلد والصدم

اللغة ، لأنه خطأ بقراءة الخطوط (١)

ومما اختصت به لغة العرب من نتائج هذا النمو ، ورود الألفاظ الكثيرة للمعنى الواحد .. فعندهم للسنة ٢٤ اسما ، وللنور ٢١ اسما ،

---

(١) التصحيف هو ان يخطيء القاريء في قراءة الكلمة وروايتها ، لاتفاق فى صورة أحرف الكلمتين ، واختلاف فى النقط . وقد وقع هذا التصحيف فى اللغة منذ القديم . وقد ألف حمزة بن الحسن الاصفهانى المتوفى سنة ٣٦٧ هجرية كتابا سماه « التنبيه على حدوث التصحيف ، نبه فيه على التصحيف الذى وقع فى متن الاحاديث النبوية ، وكلمات العرب البلغاء ، وفى الاشعار القديمة والامثال السائرة

مثال ذلك ما قاله أبو الفضل جمال الدين فى مادة (ق ب ع) : « وفى حديث الاذان : انه اهتم للصلاة كيف يجمع لها الناس . فذكر له « القبع » فلم يعجبه ذلك ، يعنى البوق . رويت هذه اللفظة بالباء ، والتاء ، والثاء ، والنون . وأشهرها وأكثرها النون » . وهى فى الاصل من اليونانية « قنخوس » أى البوق أو كل ما يشبه البوق من المحار . ومن المصحف اللغثون واللغنون : وهو الخيشوم . ومن التصحيف الاحتباء : وهو آن تقرأ الكلمة ناقلا نقطة حرف ، أو نقطتى حرف ، الى حرف آخر . مثال ذلك العزب والغزب ، والعيرب : وهو السماق ، والاحبش فسره اللغويون بالاجش : الشديد الحاد من الاصوات ، والصواب أجش ، والربرق والريرق والريزق : وهو عنب الثعلب

وفى رسالة تنسب لعلى بن أبى طالب كتب بها الى معاوية : تدل على شيوع التحريف واستغلاله فى الانشاء قال : « غرك عزك ، فصار قصار ذلك ، ذلك ، فاخش فاحش فعلك ، فعلك تهدا بهذا »

قال البيرونى فى مقدمة كتابه « الصيدنة » فى كلامه عن التصحيف : « ولكن للكتابة العربية آفة عظيمة ، هى تشابه صور الحروف المزدوجة فيها واضطرارها فى التمايز الى نقط العجم ، وعلامات الاعراب ، آلتى اذا تركت استبهم المفهوم منها . واذا انضاف اليه اغفال المعارضة ، واهمال التصحيح بالمقابلة ، وذلك الفعل من عام قومنا ، يساوى به وجود الكتاب وعدمه ، بل علم ما فيه وجهله . ولولا هذه الآفة ، لكفى ما فى كتاب ديسقوريدس ، وجالينوس ، ويولس ، وأرباسيوس ، المنقولة الى العربى من الاسامى اليونانية ، الا أنا لا نثق بها ... »

أما التحريف فهو تشابه أحرف الكلمة بعضها لبعض فى النوع ، والشكل ، والعدد ، والترتيب ، لكنها تختلف فى الحركات أو فى الحركة والسكون . مثال ذلك : اللباب (بفتح اللام) : الكلأ القليل ـ واللباب (بضم اللام) : المختار الخالص من كل شيء ـ واللباب (بكسر اللام) : أوساط الصدوروالمناحر والحب (بفتح الحاء) : البزر ـ والحب (بكسر الحاء) : المحبوب والمحب ـ والحب (بضم الحاء) : الجرة الضخمة

وللظلام ٥٢ اسما ، وللشمس ٢٩ اسما ، وللسحاب ٥٠ اسما ، وللمطر ٨٤ اسما ، وللبئر ٨٨ اسما ، وللماء ١٧٠ اسما ، وللبن ١٢ اسما ، وللعسل نحو ذلك ، وللخمر مائة اسم ، وللأسد ٣٥٠ اسما ، وللحية مائة اسم ، ومثل ذلك للجمل . أما الناقة فأسماؤها ٢٥٥ اسما .. وقس على ذلك أسماء : الثور ، والفرس ، والحمار ، وغيرها من الحيوانات التى كانت مألوفة عند العرب ، وأسماء الأسلحة :كالسيف، والرمح، وغيرهما. ناهيك بمترادف الصفات ، فعندهم للطويل ٩١ لفظا ، وللقصير ١٦٠ لفظا ، ونحو ذلك للشجاع ، والكريم ، والبخيل ، مما يضيق المقام عن استيفائه (١)

ومن خصائص اللغة العربية أسماء الأضداد ، فان فيها مئات من

---

(١) كثيرا ما يجد الناظر فى كتب اللغة طوائف من الالفاظ تترادف كل طائفة منها على معنى واحد ، ومن علماء اللغة من أفرد للمترادف كتبا ، ومنهم مجد الدين الفيروزبادى صاحب القاموس ، ألف فى المترادف كتابا سماه « الروض المسلوف فيما له اسمان الى ألوف » ، وله رسالة فى أسماء العسل سماها « ترقيق الاسل لتصفيق العسل » ، وللجرجانى رسالة فى المترادف . ومن دقق البحث فيما تدل عليه المترادفات من المعانى رأى أن أكثرها صفات ، غلبت عليها الاسمية . وان قيل أن هناك أسماء وضعتها القبائل لمسمى واحد ، لاختلاف لغاتها ، فهذا لا ينافى أن كل قبيلة كانت تسمى الشيء بصفة من صفاته لم تكن لسواه . وهى فى الواقع لا ترادف فيها ، لان العرب : شعوب وقبائل ، ولكل شعب ألفاظ محصورة وضعها واضعهم ليتقاضوا بها أغراضهم ، ولا ضرورة لقضاء الاغراض من وضع أزيد من لفظ واحد لكل معنى على الاغلب ، فالذين يسمون السبع أسدا ، لا يسمونه ليثا ، والذين يقولون مديه لا يقولون سكينا . فالترادف فى اللغة ليس طبيعيا ، ولا وجود له متى وجهنا النظر الى كل قبيلة على حدة ، وانما هو أمر يحدث اذا نظرنا الى القبائل عامة

ونشأ الترادف فى اللغة العربية ، من اجتماع قبائل العرب فى مواسم عامة مثل سوق عكاظ ، وذى المجاز ، ومجنة ، وكانوا يتساءلون الاخبار ويتناشدون الاشعار ويتبارون فى الخطابة ، يسمع كل منهم لغة الاخرين ويستخدم منها ما شاء . ومن خوف علماء اللغة فى الصدر الاول للاسلام على فساد أمرها ، لما رأوا اختلاط العجم بالعرب ، فقاموا بجمعها وضبطها لتكون لغة متميزة عن لغات العجم . ولما كان نقل لغة كل قبيلة على حدة موجبا للتكرار ، نقلوها مجملة : فما كان متفقا عليه بين جميع القبائل ذكروه على وجهه ، وما افترقت فيه القبائل ، عددوا أوجه الخلاف فيه بلا نسبة لقائليه فى الاكثر ، ومع النسبة فى الاقل . وقد ترتب على حدوث الترادف فى اللغة عدة فوائد منها : امكان تفسير ما لم يفهم وهو المعروف عند متأخرى

الألفاظ يدل كل منهما على معنيين متضادين : مثل قولهم « قعد » للقيام والجلوس و « نضح » للعطش والرى و « ذاب » للسيولة والجمود و « أفسد » للاسراع والابطاء و « أقوى » للافتقار أو الاستغناء (١)

ومن خصائصها أيضا ، دلالة اللفظ الواحد على معان كثيرة .. فمن ألفاظها نيف ومائتا لفظ يدل كل منها على ثلاثة معان .. ونيف ومائة لفظ يدل الواحد منها على أربعة ، وكذلك التى تدل على خمسة معان . وقس على ذلك ما يدل على ستة معان ، فسبعة فثمانية فتسعة الى خمسة وعشرين معنى ، كالحميم ، والفن ، والطيس . ومما تزيد مدلولاته على ذلك « الخال » فانها تدل على ٢٧ معنى ، وللفظ « العين » ٣٥ معنى ، وللفظ « العجوز » ٦٠ معنى

فتكاثر المترادفات والاضداد ودلالة اللفظ الواحد على معان كثيرة ، لا يحدث الا من تفرع ألفاظ اللغة ومعانيها بالنمو والتجدد وتكاثر

المناطقة بالتعريف اللفظى كأن تقول : البر هو القمح والعسجد هو الذهب ، ومنها التقلب فى أساليب الانشاء واظهار المعنى الواحد فى عدة صور ، ومنها ستر العيوب اللسانية للالثغ ، وذلك باختيار الالفاظ التى تخلو من حرف اللثغة ، ومنها اختيار اللفظة بحسب حاجة الكاتب أو الشاعر أو الخطيب بما يتفق وجرس الكلام أو القافية

هذا ولم يعن أحد فى الجاهلية بتحديد معانى المترادف وتدوينها ، فتعذر أحيانا الوقوف على الفروق فى المترادفات ويقول ابن فارس : « ان لغة العرب لم تنته الينا بكليتها ، وأن الذى جاء من العرب قليل من كثير ، وان كثيرا من الكلام ذهب بذهاب أهله »

وكثير من العلماء العرب من أنكر المترادف . يقول السيوطى فى المزهر : « قال التاج السبكى فى شرح المنهاج : ذهب بعض الناس الى انكار المترادف فى اللغة العربية ، وزعموا أن كل ما يظن من المترادفات فهو من المتباينات التى تتباين بالصفات ، وقد اختار هذا المذهب أبو الحسين أحمد بن فارس فى كتابه الذى الفه فى فقه اللغة العربية وسنن العرب ، ونقله من شيخه أبى العباس ثعلب »

(١) والتضاد لفظ يدل على الشيء وضده ، مثال ذلك : الجون : يطلق على الابيض والاسود ، والتعزير : يدل على التعظيم والتحقير ، الجلل : العظيم والصغير ، والناهل : العطشان والريان ، والمولى : السيد والعبد ، والرهوة : الارتفاع والانحدار ، وكشح الشيء : جمعه أو فرقه ، وأسر الشيء : أخفاه وأعلنه ، والخشيب من السيوف : الذى لم يصقل والذى فرغ من صقله ، وقسط : اذا عدل أو جار ، والوشل : الماء الكثير والقليل

الدخيل . وبالطبع لم يتكون للشيء الواحد مائة اسم أو مائتان الا بتوالى الأجيال .. وأحدث تلك الألفاظ أكثرها استعمالا ، وآقدمها أقربها الى الاهمال (١)

---

(١) يتساءل بعض علماء اللغة : هل من المرغوب فيه ان نحتفظ ببعض الامور المتناقضة مثل إختلاف الهجاء مع نطق الكلمات ، لان هذه الامور قديمة ؟

وهل من المرغوب فيه أيضا أن نحتفظ فى النحو العربي بما يقارب ثلاثين صيغة فى جمع التكسير ، وفى القاموس العربى بمائة اسم للجمل ومائة للحية وثلثمائة وخمسين للاسد ، ومائتين وخمسين للناقة ، لمجرد أن هذه الصيغ والالفاظ قد مضى على الاعتراف بها حين من الدهر الطويل؟

أثارت هذه الاوضاع عند بعض العلماء ثورة واعتراضا . وكثيرا ما يتحدث العلماء عن تحكم الاستعمال اللغوى فى أبناء اللغة .. ولاشك ان كل الظواهر الاجتماعية ، واللغة من بينها ، يمكن ان توصف بالتحكم . وفى ذلك يقول النحوى الدانيمركى « هويسجارد » : « ان الاستعمال اللغوى مارد عنيف تزداد قوته بازدياد عمره » . أما العرف الجماعى فانه لا يقوم على أساس أفضلية عمل على عمل ، أو حديث على حديث ، بل هو مجرد قبول لما تجرى عليه العادة . وقد يجد بعض الناس فى نفسه رغبة فى الخروج على هذا العرف الجماعى لغويا ، وغير لغوى . وقد عبر عن مثل هذه الرغبة الكاتب بيترسن بقوله « كيف يستطيع النابه ، الذى تتميز به طاقته على الابتكار فى اللغة والتجديد فى اساليبها ، ان يقبل التعبير بعبارة لا يتدخل فيها ذكاؤه وألمعيته بالتجديد والابداع ؟ » ولكن من يثور على الاوضاع اللغوية المقررة يصطدم ولا شك بقوتها الجبارة

وقد عالج العالم اللغوى أودلف نورين موضوع اللغة المألوفة ، وذهب الى ان موقف المتكلم او الكاتب بلغة من اللغات ، موقف لاعب الشطرنج ، فكل ظرف من ظروف اللعب يواجهه اللاعب ، يتطلب تصرفا خاصا ، وذلك فى حدود القواعد المتعارفة التى تسير عليها اللعبة . قد يكون هناك من الطرق ما يسمح بحرية التصرف بحركة من حركات الشطرنج ، او للنطق بعبارة من عبارات الحديث ، ولكن هذه الحرية ولا شك ، ليست من الانطلاق بحيث تخرج عن القواعد العامة المألوفة فى الشطرنج وفى اللغة . ولو خرج أحدهما عن هذه القواعد لما كان لعبه أو كلامه داخلا فى حدود الصواب

ثم يقول «نورين» انه مما تتميز به اللغة ، زيادة عدد من المترادفات تتقارب معانيها ، لان ذلك يجعلها أقدر على التفريق بين الافكار المتشابهة . واللغة المثالية هى التى بلغت من الدقة درجة تجعلها صالحة ، للتمييز بين مختلف الافكار الفلسفية المتشابهة .. ولهذا فكلما زادت المترادفات فى اللغة ، كلما قربت من المثالية اللغوية . وهذا ما يذهب اليه جرجى زيدان من أنه من المرغوب فيه أن تفرق اللغة بين كل المدركات المتشابهة مهما بلغ عددها من كثرة ، وان تفرع ألفاظ اللغة ومعانيها لايحدث الا بالنمو والتجدد وتكاثر الدخيل

الألفاظ الاسلامية

الالفاظ الاسلامية

العصر الاسلامى

نريد بالعصر الاسلامى فى صدد اللغة العربية ، الزمن الذى مرَّ باللغة بعد ظهور الاسلام ، حتى كتبت العلوم الاسلامية : كالتفسير ، والحديث ، وسائر العلوم الشرعية واللغوية ونحوها ، الى عصر النهضة العباسيــة . ولا مشاحة فى ان الاسلام ، أثّر فى اللغة تأثيرا كبيرا ، كان تابعا لتأثيره فى العادات والآداب والاعتقادات ..

ويدخل فى ذلك ما طرأ على اللغة من الاصطلاحات الدينية ، والفقهية ، واللغوية ، والأدبية ، وما دخلها من الألفاظ الادارية على أثر انشـــاء الحكومة ودوائرها وفروعها ، ثم الألفاظ العلمية ، والفلسفية ، بترجمة كتب اليونان ، والفرس ، والهنود ، الى العربية ..

ولذلك قسمنا الكلام فى العصر الاسلامى الى ثلاثة فصول : نقتصر فى هذا الفصل على ما دخل اللغة العربية من التغيير بسبب العلوم الاسلامية وهو ما عبرنا عنه بالألفاظ الاسلامية ، ونفرد لكل من التغييرات الادارية والاجنبية فصلا خاصا

فتأثير العلوم الاسلامية على اللغة ، يكاد يكون محصـــورا فى تنويع الألفاظ العربية وتغيير معانيها للتعبير عما أحدثه الاســـلام من المعـــانى الجديدة ، بلا ادخال ألفاظ أعجمية الا نادرا

١ ـ الاصطلاحات الشرعية والفقهية

وأشهر ما حدث من التنوعات فى الألفاظ العربية فى العصر الاسلامى ، المصطلحات الدينية ، والشرعية ، والفقهية ، واللغوية .. وكانت ألفاظها موجودة قبل الاسلام ، ولكنها كانت تدل على معان أخرى ، فتحولت للدلالة على ما يقاربها من المعانى الجديدة . فلفظ « المؤمن » مثلا كان

معروفا فى الجاهلية ، ولكنه كان يدل عندهم على الأمان ، أو الايمان وهو التصديق ، فأصبح بعد الاسلام يدل على المؤمن وهو غير الكافر ، وله فى الشريعة شروط معينة لم تكن من قبل .. وكذلك المسلم ، والكافر ، والفاسق ، ونحوه . ومما حدث من المصطلحات الشرعية الصلاة ، وأصلها فى العربية الدعاء ، وكذلك الركوع ، والسجود ، والحج ، والزكاة ، والنكاح ، فقد كان لهذه الألفاظ وأشباهها معان تبدلت بالاسلام وتنوعت (١)

وقس على ذلك فى الاصطلاحات الفقهية .. كالايلاء ، والظهار ، والعدة ، والحضانة ، والنفقة ، والاعتاق ، والاستيلاء ، والتعزير ، واللقيط ، والآبق ، والوديعة ، والعارية ، والشفعة ، والمناسخة ، والفرائض ، والقسامة ، وغيرها ..

٣ ــ الاصطلاحات اللغوية

ويقال نحو ذلك فى الاصطلاحات اللغوية التى اقتضتها العلوم اللغوية.. كالنحو ، والعروض ، والشعر ، والاعراب ، والادغام ، والاعلال ، والحقيقة ، والمجاز ، والنقض ، والمنع ، والقلب ، والرفع ، والنصب ، والخفض ، والمديد ، والطويل ، وغيرها من أسماء البحور وضروب الاعراب والتصريف ، وهى كثيرة جدا ولها فروع واشتقاقات .. حتى

(١) سارع المسلمون الى فهم آيات القرآن الكريم ، والى فهم الاحاديث النبوية فهما صحيحا ، فظهر فى صدر الاسلام علماء ، ونشأت معهم نواة علوم الفقه والحديث والتفسير وغيرها . واقتضت هذه العلوم وضع مصطلحات عديدة آستنبطوها من صلب اللغة العربية ، بالاشتقاق أو بالمجاز أو بالتضمين ، وخلفوا لنا فى كتبهم كنزا من ذخائر المصطلحات . وليس أدل على ذلك من كتب الامام الشافعى مثلا ، واضع علم الشريعة ، فقد فتح فيها مجالا واسعا لوسائل التأدية ، واغنى اللغة بالمصطلحات

وضع هؤلاء العلماء ألفاظا ، او بدلوا معانيها الاصلية ، فأصبح لها معان جديدة ، ثم أصبح لتلك المعانى شروط وحدود ذكروها فى كتبهم . مثال ذلك الفاظ : الحج ، والزكاة ، والنكاح ، والوضوء ، والتيمم والحضانة ، والنفقة ، والشفعة ، واحياء الارض الموات ، والتحجير ، وارض العشر ، وارض الخراج ، والمفارسة ، والمساقاة ، وغير ذلك

لقد أصبح للفظ الواحد معنى فقهى ، وآخر لغوى ، وآخر عروضى ، وآخر دينى ، مما لايمكن حصره . وسنذكر أمثلة أخرى عند الكلام على اصطلاحات المنطق وعلم الكلام

وأحدث الاسلام تغييرا كبيرا فى أساليب التعبير ، كقولهم : « أطال الله بقاءك » فان أول من قالها عمر بن الخطاب لعلى بن أبى طالب (١)

٣ ــ الالفاظ المهملة

وكما أحدث الاسلام ألفاظا جديدة للتعبير عن معان جديدة ، اقتضاها الشرع الجديد والعلم الجديد .. فقد محا من اللغة ألفاظا قديمة ، ذهبت بذهاب بعض اعتقادات الجاهلية وعاداتهم .. منها قولهم : « المرباع » وهو ربع الغنيمة الذى كان يأخذه الرئيس فى الجاهلية . و « النشيطة » وهى ما أصاب الرئيس قبل أن يصير الى بيضة القوم ، أو ما يغنمه الغزاة فى الطريق قبل الوصول الى الموضع الذى قصدوه . و « المكس » وهو دراهم كانت تؤخذ من بائعى السلع فى الأسواق فى الجاهلية . وكذلك : الاتاوة ، والحلوان . ومما أبطل قولهم : « أنعم صباحا وأنعم ظلاما »

---

(١) وضعت فى العلوم العربية جملة كبيرة من المصطلحات الجديدة ، وتبدلت المعانى اللغوية وأمست تدل على معان اصطلاحية جديدة

بلغت علوم اللغة العربية فى القرن السادس للهجرة اثنى عشر علما ،وهى: علم اللغة ويبحث عن المفردات فى جواهرها ومواردها ، وعلم الصرف ويبحث عن المفردات فى هيئتها ، وعلم الاشتقاق ويبحث عن المفردات فى نسبة بعضها لبعض ، وعلم النحو ويبحث عن المركبات الموزونة وغير الموزونة من حيث تأديتها المعنى الاصلى ، وعلم المعانى ويبحث عن المركبات الموزونة وغير الموزونة من حيث افادة معانى فوق المعنى الاصلى ، وعلم البيان ويبحث عن المركبات الموزونة وغير الموزونة من حيث مراتب الافادة الثانية فى الوضوح ــ ويلحق البديع بعلم البيان وعلم المعانى باعتباره تابعا ومكملا لهما ، وعلم العروض ويبحث عن المركبات الموزونة فقط من حيث الوزن ، وعلم القوافى ويبحث عن المركبات الموزونة فقط من حيث الاواخر

ويلى العلوم السابقة ، وهى أصول ، علوم أخرى هى : علم النقش والرسم (أى الاملاء والخط) ، وعلم صنع النظم (أى قرض الشعر) ، وعلم صنع النثر (أى الانشاء) ، وعلم التاريخ ومنه المحاضرات

وقولهم للملك : « أبيت اللعن » وقول المملوك لمالكه : « ربى » . وتسمية من لم يحج « صرورة » وغير ذلك . وقد نرى بعض هذه الألفاظ مستعملا فى اللغة الآن فهو ، اما مستعمل فى غير معناه الأصلى .. واما انه قد أرجع اليه بعد اهماله ..

على اننا لا نشك فى اهمال كثير من الألفاظ العربية فى القرنين الأولين للهجرة ، ولا سبب لذلك غير ما يقتضيه النمو من التجدد والدثور .. يكفى لتحقيق ذلك ، مراجعة المعجمات وتدبر ألفاظها ، فانك ترى فيهـ مئات وألوفا من الألفاظ التى بطــل استعمالها ، ولا نظنهم جمعوها فى صدر الاسلام ، الا لأنها كانت شائعة على ألسنة العرب .

وقد يعترض على ذلك ان تلك الألفاظ انما أهملت فى العصور الأخيرة فلا ننكر اهمال بعضها فى هذه العصور ، ولكن جانبا كبيرا منها أهمل فى العصور الأولى ، فضلا عما قل استعماله قبل الاسلام .. حتى لقد كان أحدهم يسمع اعرابيا يتكلم ، فاذا ذكر ألفاظا مهملة أغلق على الســامع فهمها ولو كان لغويا ..

***

يروى عن أبى زيد الانصارى انه قال : « بينما أنا فى المسجد الحرام ، اذ وقف علينا اعرابى ، فقال : يامسلمون ــ بعد الحمد لله والصلاة على نبيه ــ انى امرؤ من هذا الملطاط الشرقى ، المواصى أسيــاف تهامة ، عكفت علينا سنون محش ، فاجتبت الذرى ، وهشمت العرى ، وجمشت النجم ، وأعجبت البهم ، وهمت الشــحم ، والتحبت اللحم ، وأحجنت العظم ، وغادرت التراب مورا ، والماء غورا ، والنــاس أوزاعا ، والنبط قعاعا ، والضهيل جراعا ، والمقام جعجاعا ، يصبحنا الهاوى ، ويطرقنــا العاوى ، فخرجت لا أتلفع بوصــيده ، ولا أتقوت بمهيده ، فالبخصات وقعه ، والركبات زلعــه ، والاطراف فقعه ، والجسم مســلهم ، والنظر مدرهم ، اعشوا فاغطــش ، وأضحى فاخفش ، اســهل ظالعا ، واحزن راكعا ، فهل من آمر بمير ، أو داع بخير ، وقاكم الله سطوة القادر ، وملكة

الكاهر ، وسوء الموارد ، وفضوح المصادر .. قال أبو زيد فأعطيته دينارا وكتبت كلامه واستفسرت منه ما لم أعرفه » وأبو زيد الانصارى من فطاحل أئمة اللغة . وأمثال هذه كثيرة فى أخبار العرب (١)

---

(١) ومما يروى أن أعرابية ممن لم تفسد لغة قومها بالاختلاط ، يقال لها « أم الهيثم » ، نزلت العراق ، وعلماؤه يومئذ مشمرون فى اثبات اللغة وضبطها ، والتنازع محتدم بين الكوفيين والبصريين

فقال جماعة من العلماء : لنذهب الى هذه الاعرابية ، ونسأل عما شجر بيننا فذهبوا اليها ، فقيل انها عليلة . فلما دخلوا عليها قال لها أبو عبيدة : « عم كانت علتك ؟ » فقالت : « كنت وحمى للدكة ، فشهدت مأدبة ، فأكلت جبجبه من صفيف هلعة ، فاعترنى زلخة » فقال لها : « يا أم الهيثم ، أى شىء تقولين ؟ » . فقالت : « أو للناس كلامان ؟ ما كلمتكم الا الكلام العربى الفصيح»

(الدكة : الدسم ، والمأدبة : طعام يصنع لدعوة أو عرس ، والجبجبة : الكرش يجعل فيه اللحم المقطع او الشحم ، يذاب ويجعل فى كرش ، والضفيف: ما صف على الجمر لينشوى ، والهلعة : الانثى من أولاد المعز ، والزلخة : وجع يأخذ فى الظهر ، لا يتحرك الانسان من شدته)

كان غرض العلماء ، حصر اللغة ، وضبط الاوجه التى يجوز للمتكلم اتباعها بحيث يصيب من نهج على تلك المناهج المأثورة ، ويخطىء من خرج عنها

ولم يكن غرض العلماء تمييز اللغات بعضها عن بعض ، مما يهمنا الآن بالنسبة لتاريخ اللغة ، بل كان غرضهم ضبط انتشار اللغة ، ولم شعثها ، وجمع متفرقها ، واستمرار وجود جملتها سالمة من الخلل .

ولهذا ذهب جرجى زيدان فى ان سبب أهمال كثير من الالفاظ العربية يرجع الى ما يقتضيه نمو اللغة من تجدد ودثور ، فضلا عن أن جميع هذه الالفاظ وتدوينها فى العصور الاولى للاسلام ، لا يدل على انها كانت شائعة على ألسنة العرب جميعا

الالفاظ الادارية

مصالح الدولة

كانت مصالح الدولة قبل الاسلام ، عبارة عن مناصب كبار الأمراء من قريش فى الكعبة ، كالسدانة ، والسقاية ، والرفادة ، والقيادة ، والمشورة ، والاعنة ، والسفارة ، والحكومة ، والعمارة ، وغيرها .. وكلها عربية يدل لفظها على معناها . فلما ظهر الاسلام ، وفتح المسلمون الشام ، والعراق ، ومصر ، وفارس ، أنشأوا على أنقاض دولتى الروم ، والفرس ، دولة دوّنوا فيها الدواوين ، ونظموا الجند ، وسنوا القوانين ، على ما اقتضاه تمدنهم ، مما لم يكن له مثيل فى جاهليتهم .. فاضطروا للتعبير عن ذلك الى ألفاظ جديدة ، فاستعاروا بعضها من لغات القوم الذين أقاموا بينهم وخاصة الفرس ، واليونان ، والرومان ، واستعملوا لما بقى ألفاظا عربية حوّلوا معانيها حتى تؤدى معانى تلك الموضوعات ، كما فعلوا فى الاصطلاحات الشرعية واللغوية . ولو شئنا ذكر كل ما استحدث من تلك الألفاظ لما وسعه غير المجلدات .. فنكتفى بالأمثلة (١)

---

(١) لما أمتدت الفتوحات ، واتسعت رقعة الدولة ، مست الحاجة الى مصطلحات ادارية ، وسياسية ، فحوروا معانى بعض الالفاظ العربية ، حتى صارت تفى بالاغراض المطلوبة ، وضمنوها معنى أصطلاحيا جديدا ، غير المعنى الذى كانت تعرف به فى الجاهلية ، واقتبسوا بعض المصطلحات من الالفاظ الاعجمية التى كانت شائعة فى البلاد المفتوحة

وحدث مثل ذلك فى مصطلحات القتال كالدبابة ، والعرادة ، والكبش ، والمتطوعة ، والمسترزقة ، وفى المصطلحات المالية مثل الجبابة ، والمكس ، والسكة ، والراتب ، ودار الضرب ، والضمان

لجأت أمور الدولة فى تلك الايام الى اللغة تطورها وتنميها ، لتفى بحاجتها فبدلت المعانى الاصلية لبعض الكلمات وضمنتها معنى جديدا ، وعربت بعض الالفاظ الاعجمية واشتقت الفاظا جديدة مثل التدوين والابراد (من الديوان والبريد)

١ ـ الالفاظ الادارية العربية

أول الألفاظ الادارية التى استحدثت فى الدولة العربيـة « الخليفة » فانهـا كانت تدل فى الأصـل على من يخلف غيره ويقوم مقـامه بدون تخصيص ، ثم انحصر معناها فيمن يخلف النبى ، وأول الخلفاء أبو بكر .. ومنها صارت تؤدى معنى « السلطان يحكم بين الخصوم والسلطان الأعظم والمحكم الذى يستخلف عن قبله » ويقال نحو ذلك فى سـائر مناصب الدولة ، كالوزارة ، والامارة ، والنقابة ، والكتابة ، والحجابة ، والشرطة ، ونحوها ..

فان الوزارة كانت تدل على المعاونة ، ثم تغير معناها باختلاف الدول واختلاف حال الوزراء فيها .. ويشتق دار مستتر لفظ الوزير من أصل فارسى قديم (بهلوى) هذا نطقه « ويجيرا » ومعناه حكم ، أو أقر [١]

***

ومثل ذلك « الكاتب » فقد رأيت فيما تقدم ان الأصل فى دلالة «كتب» الحفر على الخشب أو الحجر ، لأنهم كانوا يكتبون بالحفر .. فلما كتبوا بالمداد ، صار معناها الكتابة المعروفة . ولما ظهر الاسلام احتاجوا الى من يكتب السور فكان الذين يكتبونها يسمون كتبة الوحى . وكان بعضهم يكتبون بين الناس فى المدينة ، فلما تولى أبو بكر استخدم كاتبا يكتب له الكتب الى العمال والقواد .. ولما تولى عمر ودوّن الدواوين استخدم الكتبة لضبط أسماء الجند وأعطياتهم ، فصار الكاتب يدل على الكتابة والحساب . ولما استبد الكتاب فى الدولة المصرية وغيرها ، صار الكاتب بمعنى الوزير .. ويراد بالكاتب الآن العالم المنشىء

---

(١) المرجح أن جرجى زيدان يشير الى « دار مستتر » فى كتابه
A. Dermesteter, La vie des mots étudiée dans leur signification, Paris 1887.
ونلاحظ أن جرجى زيدان على حق فى أن لفظة « وزير » عربية لا فارسية قديمة والواقع أن وظيفة الوزير وظيفة معروفة فى فارس القديمة ، واختار العـرب لفظة وزير العربية لانها تشابه اللفظة الفارسية ، ومن العربية دخلت اللغـات الاوربيـة

ومن ذلك لفظ « الدولة » فقـد كانوا يريدون به « انقـلاب الزمان والعقبة فى المال والفتح فى الحرب » ثم دلوا به على الملك ووزرائه ورجال حكومته ، ولم يكن لها هذه الدلالة قبلا

و « الحجابة » تدل فى الأصل على الستر والمنع ، فالحاجب الساتر أو المانع ، فكان حاجب الخليفة من أصغر رجال الدولة . فلما ضعف الخلفاء واستبد الحجاب ، صار معنى الحاجب عندهم مثل معنى الوزير

***

وقس على ذلك سائر منـاصب الدولة ، كالامارة ، والشرطـة (١) ، والقضاء ، والحسبة ، والنقابة ، والامامة ، وغيرها من اصطلاحات الجند كالمسترزقة ، والمتطوعة ، والعلوفة ، والعسكر .. وضروب الحرب وأبواب الهجوم ، كالزحف ، والكر ، والفر ، والبيـات ، والكفاح ، والغرة .. وصنوف الأسلحة : كالدبابة ، والكبش ، والعرادة ، وغيرها . ناهيـك باصـطلاحات الدواوين على اجمـالها ، كقولهم الثغور ، والعواصم ، والاقليم ، والقصـة ، والعمـل ، والولاية ، والضيـاع ، والحكومة ، والسكة ، والتوقيع ، والوظيـفة ، والخراج ، والجزية ، والعشـور ، والمرافق ، والصوافى ، والجوالى ، والجباية ، والوقف ، والمصـادرة ، والمستغلات ، والصدقة ، والمكوس، والمراصد ، ودار الضرب ، والضمان ، والدفاتر ، والجرائد ، والخرائط ، والايغـار ، والراتب ، والجارى ، والعطاء ، والبيعة ، والدعوة ، والختم ، والخطط ، والمطالعة ، والمؤامرة ، وغير ذلك كثير جدا

فالألفاظ المذكورة عربية الأصل وأكثرها معروف قبل الاسلام ، ولكن مدلولاتها تغيرت بتغير أحوال المسلمين بعد انشاء دولتهم .. اذ حـدث بانشائها معان جديدة اضطروا فى التعبير عنها الى ألفاظ جديدة ، فنـوّعوا ما عندهم .. اما عمدا أو عفوا فصارت الى ما هى عليه

« فالخراج » مثلا كان معناه فى الجاهلية الكراء والغلة ، ويدل ذلك

---

(١) الشرطة يرجعها البعض الى أصل يونانى قديم

على معنى ضرب الخراج فى الاسلام ، فانهم كانوا يعدون الأرض ملكا لهم وقد سلموها لأهلها على سبيل الايجار بالكراء ، فصار معنى الخراج بعد ذلك « ما وضع على رقاب الأرض من حقوق تؤدى عنها » ثم صار الخراج مقاسمة أو مساحة أو سيحا أو سقيا ، وأكثرها ألفاظ جديدة لمعان جديدة ..

و « الحكومة » كانت تدل فى الجاهلية على الفصل بين المتخاصمين لأنها مصدر حكم أى قضى ، وتلك كانت أعمال صاحب الحكومة فى الجاهلية ، ثم تحوّل معناها الى « أرباب السياسة أو رجال الدولة »

و « السكة » فى الأصل الحديدة المنقوشة التى كانوا يضربون عليها النقود ، ثم سميت النقود بها ، واشتقوا منها الأفعال والأسماء لهذا المعنى (١)

***

و « التوقيع » الأصل فيه « التأثير » من قولهم : « وقع الوبر ظهر البعير توقيعا أثر فيه » ثم استعملوه فى الاسلام لما يوقعه الكاتب على القصص المرفوعة الى الخليفة ، أو السلطان ، أو الأمير ، فكان الكاتب يجلس بين يدى السلطان فى مجالس حكمه .. فاذا عرضت قصة (عرضحال) على السلطان ، أمر الكاتب أن يوقع عليها (يؤشر) بما يجب اجراؤه . ثم تحوّل معناها الى اسم علامة السلطان كالامضاء عندنا .. وعلى نحو هذا النمط ، تحوّل معنى « الامضاء » اليوم الى التوقيع ، ومعناه فى الأصل « التنفيذ » فكان توقيع السلطان على القصة عبارة عن أمر رجال الدولة فى امضائها ، أى تنفيذ توقيعه ، ثم تحوّل معناها الى التوقيع أى وضع العلامة على الصكوك ونحوها

ومن هذا القبيل « الوظيفة » فان الأصل فى معناها « ما يقدّر من عمل ، وطعام ، ورزق ، وغير ذلك » ومنها وظف عليه الخراج ونحوه ،

(١) والسكة أى الطريق ، فهى من الحبشية أو على الاغلب من العربية الجنوبية

أي قـدّره .. فاسـتعملها كتاب الدولة العربيـة لهذا المعنى مع بعض الانحراف ، فقالوا : « وظف الرجل توظيفا : عيّن له فى كل يوم وظيفة » فالموظف هو الذى يأخـذ الوظيفة ، أو الراتب .. ثم توسـعوا فى لفظ الوظيفة ، فدلّوا بها على المنصب أو الخدمة المعينـة . والمشـهور ان استعمالها لهذا المعنى من اصطلاحات هذا العصر ، ولكنه أقدم من ذلك كثيرا .. فقد استعملها لهذا المعنى جماعة من فحول الكتبة ، كابن خلدون فى مقدمته ، والمقريزى فى خططه ، وغيرهما . وتولد فى أثناء تحوّل هذه اللفظة الى هذا المعنى ، ألفـاظ أخرى تقوم مقامها فى معنـاها الاول ، كالراتب ، والجارى ، والماهية (وهذه فارسية الأصل من « ماه » شهر والماهية الشهرية) .. واستحدثوا لفظة أخرى للمنصب لم يكن لها هذا المعنى من قبل ، وهى « الخطة » فمعناها فى القـاموس « الارض التى تنزلها ولم ينزل بها نازل قبلك » و « الخطة » بالضم « الخصلة وشبه القصة والأمر والجهل » فاستعملوها بمعنى المنصب لعلاقة لا نعلمها .. ومن ذلك قول ابن خلدون : « الوزارة أم الخطط الاسـلامية والرتب الملوكية »

٢ ـ انتقال اللفظ من معنى الى آخر

وانتقال الألفاظ من معنى الى آخر بلا علاقة ظاهرة بين المعنيين كثير فى اللغة العربية ، ومنها الاضداد ، أى اللفظ ذو المعنيين المتضادين . وأسباب هذا الانتقال كثيرة يصعب تتبعها فى كل ما نراه من الاختلاف فى معانى اللفظ الواحد أو مشتقاته ، لكننا نذكر أربعة منها على سبيل المثال :

(١) دخول كلمة أعجمية لفظها يشبه لفظ كلمة عربية ، فيجعلونها من مشتقاتها .. كما فعلوا بالبلاط بمعنى القصر ، فانهم أخذوها عن اللاتينية ، فأشبهت لفظ البلاط الحجر المعروف فجعلوها من مشتقات « بلط »

ومثل قولهم « تباشير » فقد شـقها القاموس من « بشر » فقـال : « التباشير البشرى ... وتباشير الصبح أوائله ، وكذلك أوائل كل شىء

ولا يكون منه فعل » واللفظة فارسية مركبة من تبا « مثل » وشير «لبن» أى أبيض كاللبن ، وكان الفرس يدلون بها على بياض الصبح عند أول شروق الشمس ، فاقتبسها العرب منهم ودلوا بها على أوائل كل شيء وعلى البشرى (١).

(٢) استعمال لفظين معا لمعنى ، ثم اهمال أحدهما بالاستعمال التماسا للاختصار ، فيبقى الآخر للدلالة على ذلك المعنى .. مثل قولهم « ارتفاع » بمعنى جباية فيقولون : « ارتفاع الدولة » ويريدون مقدار جبايتها أى مجموع دخلها . وليس فى هذه اللفظة ما يلمح منه هذا المعنى ولا ذكره لها القاموس . وأصل هذه الدلالة انهم كانوا يستعملون ارتفاع مع لفظ جباية ، فيقولون : « ارتفاع جباية الدولة » أى مقدار ما بلغت اليه جبايتها (من ارتفع السعر أى غلا) ثم أسقطوا « الجباية » للاختصار فظلت « ارتفاع » وحدها لنفس ذلك المعنى.

***

ومثل ذلك قولهم : « اشفى العليل » بمعنى « امتنع شفاؤه » (أى ضد معنى المادة الأصلى الشفاء) وسبب هذا التضاد أن «اشفى» من مشتقات « شفا » الواوية بمعنى الاشراف أو الاقتراب ، وليس من مشتقات « شفى » اليائية كما أوردها القاموس .. فكانوا يقولون : « أشفى المريض على الموت » أى أشرف عليه ، ثم اختصروه ، فقالوا : « أشفى المريض » لنفس هذا المعنى ، والتبس على صاحب القاموس أصل مادتها ، فعدها من مشتقات شفى

وكذلك قولهم : « عقد له » بمعنى « ولاه » وليس فى مادة « عقد » ما يقرب من هذا المعنى ، ولا رأينا فى القاموس انها تستعمل لمعنى الولاية ، ولكنها كثيرة الورود فى كتب التاريخ لهذا المعنى . والأصل فى هذه

(١) يذهب البعض أن الكلمة هندية الاصل .. وهى من السنسكرتية : « تراكشيرا » وهى مادة تشبه السكر تكون داخل القنا .. عرفت عند الفرس والعرب باسم الطباشير ، وكانت تستعمل كدواء فى العصور الوسطى

الدلالة ، أن الخلفاء فى صدر الاسلام ، كانوا اذا وجهوا جيشا الى حرب عقدوا له الألوية وسلموها الى الأمراء ، لكل أمير لواء .. وكان توجيههم الى الفتح يتضمن معنى الألوية على البلاد التى يفتحونها ، ثم صار الخلفاء بعدهم يعقدون ذلك اللواء للأمراء عند توليتهم بعض الامارات .. فيقال : « عقد له اللواء على البلد الفلانى » أى ولاه اياه ، ثم اختصروا فقالوا : « عقد له »

ولمثل هذا السبب يستعمل كتابنا اليوم « برهة » بمعنى الزمن القصير، وهى تدل فى الأصل على الزمن الطويل .. فالظاهر أنهم كانوا يقولون : « برهة قصيرة » أو « برهة وجيزة » للزمن القصير .. ثم استعملوا برهة وحدها لهذا المعنى

(٣) تفرع اللفظ الواحد بالقلب والابدال الى ألفاظ كثيرة تدل على تفرعات المعنى الأصلى .. وأمثلة ذلك كثيرة فى اللغة لا حاجة الى ذكرها . ولكن قد يتنوع المعنى ويبقى اللفظ على حاله ، فيندر أن يهتدى الى سبب ذلك التنوع .. ومن أغرب الأمثلة على ذلك « جنّ » ومشتقاتها ، فانها تدل على معان كثيرة ترجع الى « الظلمة ، والاختفاء ، والجنون ، والجن ، والجنة » .. ولا يخفى ما بين هذه المعانى من التباين والتناقض.. فلنتبع هذه اللفظة الى أصلها لعلنا نهتدى الى تعليل هذا الاختلاف :

يظهر لنا ان هذه المادة قديمة فى تاريخ اللغة ، بدليل وجودها فى جميع اللغات السامية وأمهات اللغات الآرية .. فهى فى العبرانية ، والسريانية على نحو ما هى فى العربية لفظا ومعنى . وفى السنسكريتية « جان » الروح وكذلك فى الفارسية . ويظهر أنها حدثت والانسان فى أول أدوار حياته ، أى يوم كان المغول ، والآريون ، والساميون ، وغيرهم عائلة واحدة لأن الصينيين يدلون على الروح بنحو هذا اللفظ أى « تسن » واما فى اليونانية ، واللاتينية فتدل على الولادة ، أو التسلسل ، وهما من فروع المعنى الأصلى ..

و « جانا » فى السنسكريتية « مسكن الأرواح ، أو الآلهة » ولعل هذا

هو الأصل فى دلالة لفظ « الجنة » (الفردوس) فى اللغات السامية أيضا.. ثم تنوقلت حكاية الخليفة عند الساميين أجيالا قبل تدوينها ، فعرض فى أثناء ذلك انتقالهم الى اعتقاد التوحيد ، فأثر هذا الانتقال على معنى تلك اللفظة وتحوّل الى ما نعلمه ..

فلما كتب سفر الخليقة ، كان المعنى الأول قد تنوسى من اللغة العبرانية ، فضاع كما ضاع معنى لفظ « عدن » .. فأدى ذلك الى الرجم فى تفسيرهما بعد ذلك . أما فى السنسكريتية ، فلفظ « أدن ، أو عدن » معناه الأكل ، أو الطعام .. وربما كان هذا هو المراد بجنة عدن فى حكاية سفر الخليقة ؛ لأن الله خلق الانسان ووضعه فى « جنة عدن » وغرس له فيها الأشجار ليأكل ، ومنعه من شجرة الخير والشر .. كأنه أقامه فى جنة فيها أكل ..

***

ثم ان دلالة مادة « جان » أو « جن » على الروح فى اللغات السامية لايزال أثرها باقيا فى لفظ « الجان » العربية ، والأصل فى دلالتها « كل ما استتر عن الحواس من الملائكة أو الشياطين » أى الأرواح على اطلاقها . وكان اعتقاد الناس فى سبب الجنون ، انه حلول تلك الأرواح فى المجنون.. فعبروا عن الجنون بلفظ مشتق من « الجان » ، فقالوا : « جنّ الرجل على المجهول ، زال عقله أو فسد أو دخلته الجن » . ونظرا لاختفاء الأرواح عن حواس البشر ، وخاصة عن أنظارهم ، دلوا بتلك اللفظة على الظلمة ، والاختفاء أو الاستتار .. فقالوا جنّ الليل : أظلم ، وجنّه الليل : ستره .. فتعلل بذلك تنوع معنى هذه اللفظة الى المعانى الخمسة التى ذكرناها ، وكل ما لمشتقات هذه اللفظة من المعانى يرجع الى أحدها .

ويحسن بنا فى هذا المقام أن نتتبع تاريخ هذه اللفظة فى الافرنجية وما يقابلها فى اللغات السامية.. فقد خسرت دلالتها على « الروح » فى كل اللغات الآرية (الا الفارسية والسنسكريتية) وصارت تدل على ما يقارب ذلك وهو التوليد من Gen ومشتقاتها ، ومنها Genus فى اللاتينية ومشتقاتها بمعنى الصنف من الناس .. ويقابلها فى العربية « جنس »

ويقابل Gen فى العربية « جيل » واللفظ والمعنى متقاربان

ولم تخسر لفظة « جان » دلالتها على « الروح » الا بعد أن تولد ما يقوم مقامها ، لأسباب ترجع الى تغيير حدث فى عادات الأمم أواعتقاداتهم . وأهم ما حدث فى اعتقادات البشر الانتقال من الشرك الى التوحيد .. فلما اعتقد الساميون بالتوحيد ، أصبحت الأرواح السماوية عندهم أى الملائكة خدما للاله العظيم .. ينفذها حيث شاء لتبليغ أوامره أو نواهيه ، فعبروا عن الروح بلفظ « الرسول » وهذا معنى « الملاك » فى اللغات السامية فانه اسم مفعول من « هالك » أرسل ، وأصل المادة « هلك » مشى أو سار .. ومنها قولهم فى التوراة ملاك الرب : أى رسول الله . وقد فقدت هذه المادة فى العربية ، ولايزال أثرها باقيا فى « ألوكة » أى الرسالة [1]

وحدث نحو ذلك فى اللغات الآرية فان معنى الملاك عندهم يرجع الى « Angel » وهى مأخوذة من (انجلوس) اليونانية ومعناها «الرسول» كأنهم ترجموا لفظ ملاك الى لسانهم حرفيا

(٤) اكتساب اللفظ معنى جديدا من عادة شائعة ، كما اكتسب لفظ « بنى » معنى الزواج من ضرب القباب على العروس ليلة الزفاف ، وجملة « عقد له » معنى « ولاه » وقد تقدم ذكرها

وبالجملة ، فقد حدث فى أثناء التغيير الادارى فى الدولة الاسلامية ، نهضة عظيمة أحدثت تغييرا كبيرا فى اللغة لفظا ومعنى .. وليس ما ذكرناه الا أمثلة قليلة

١ ـ الالفاظ الادارية الاعجمية

أما الألفاظ التى اقتبسها العرب فى أثناء انشاء دولتهم فكثيرة أيضا ، نأتى بأمثلة منها :

من أقدم ما اقتبسوه من الألفاظ الادارية الفارسية « الديوان » على

(١) يذهب البعض الى أن «ملاك» من العبرية «ملأك» دخلت العربية عن طريق الآرامية ملأكا ، ويذهب البعض الى أنها من الفعل الحبشى لأك بمعنى أرسل وملأك أى رسول.

عهد عمر بن الخطاب ، فانه أول من دوّن الدواوين فى الاسلام ، فوضع الديوان على نحو ما كان عند الفرس ، واستعار له اللفظ الفارسى .. فاستعمله أولا للدلالة على ديوان الجند ، فكانوا اذا قالوا الديوان أرادوا ديوان الجند فقط ، ثم أطلقوه على سائر الدواوين ، وألحقوا به ألفاظا تميز بينها : كديوان الانشاء ، وديوان العرض ، وديوان الضياع ، وديوان الخراج ، وهى كثيرة . ودلوا به على الكتاب الذى تدوّن فيه أسماء الجنود ، فكانوا اذا قالوا : فلان من أهل الديوان ، أردوا انه ممن أثبتت أسماؤهم فى ذلك الكتاب . ثم أطلق على كل كتاب ، ثم انحصر فى الدلالة على الكتب التى تجمع فيها الأشعار .. فاذا قالوا : ديوان فلان : أرادوا به مجموع أشعاره

ولما كان أهل الديوان يجتمعون فى مكان واحد ، سموا ذلك المكان ديوانا ، وأطلقوا لفظ الديوان على كل مجلس يجتمع فيه لاقامة المصالح أو النظر فيها .. والعامة تعبر بالديوان عن المقعد (١)

وقس على ذلك كثيرا من الألفاظ الفارسية المتعلقة باصطلاحات الحكومة ، وخاصة الجند والأسلحة ونحوها : كالخوذة ، والجامكية ، والجزية ، والدولاب ، والدلق ، ودهقان ، والدانق ، ورستاق ، وسباهى ، والبريد ، وزنديق ، وكسرى ، ونيشان ، ويلمق ، والطراز ونحوها (٢)

والألفاظ اليونانية الادارية قليلة فى اللغة العربية ، ومنها : الاسطول ، والمنجنيق ، والدرهم ، والبطاقة ، والقنداق ، والكردوس ، والليمان (٣)

---

(١) الديوان مشتق من الفارسية ديو أى الكاتب ، وهو فى الاصل الكتاب يكتب فيه أهل الخراج والجزية وأهل العطية وغير ذلك

وقد دخلت اللفظة الى اللغات الاوربية عن العربية : فاستخدمها « جوتة » ليدل بها على مجموع الاشعار ، واستخدمتها بعض اللغات الاوربية بمعنى « الجمرك » واستخدمت أيضا بمعنى المقعد . وقد أتى هذا المعنى من معنى الديوان : قاعة الاستقبال ، ثم على المقعد الذى فى قاعة الاستقبال

(٢) ومنها أيضا : الرزق ، والمرزبان ، والفرسخ ، والتاج ، والصولجان ، والخندق

(٣) ومنها أيضا : القرطاس ، والفندق ، واللص

واذا تدبرت تاريخ هذه الألفاظ فى لغاتها الأصلية أو بعد انتقالها الى العربية ، رأيت مدلولاتها تنوعت بتنوع الأحوال ، فالدرهم مثلا الأصل فيه الدلالة على الوزن ، ثم دلوا به على نقد وزنه درهم ، ثم أطلق على النقود كلها (١)

وأما الألفاظ اللاتينية ، فمنها : البلاط (بمعنى قصر الملك) والدينار والدمستق (٢) . وربما أدخلوا ألفاظا تركية ، أو هندية ، أو كلدانية ، أو نبطية ، أو نحوها .. مما يضيق المقام عن استيفائه ..

(١) والدرهم أخذ عن الفارسية ، ولكنه فى الاصل من اليونانية وهو فيها « دراخما »

(٢) والالفاظ اللاتينية دخلت العربية ، عن طريق اليونانية ثم الآرامية. ومنها أيضا : الميل ، والقصر ، والقنطرة ، والقنطار ، والاطربون

الالفاظ العلمية

العصر العباسي

نريد بالألفاظ العلمية ما اقتضاه نقل كتب العلم ، والفلسفة الى اللغة العربية فى العصر العباسى من الألفاظ الجديدة ، لتأدية ماجدّ من المعانى ، مما لم يكن له مثيل فى لسان العرب ، كالمصطلحات الطبية ، والكيماوية ، والفلسفية ، والطبيعية ، والرياضية ، والفلكية ، والمنطقية ، وما ألحق بذلك من مصطلحات علم الكلام ، والتصوف ، ونحوهما . وشأن أهل العصر العباسى فى نقل تلك العلوم من اليونانية ، والفارسية ، والهندية ، وغيرها ، مثل شأننا فى نقل علوم هذا العصر من الفرنسية ، والانجليزية ، والالمانية ، وغيرها .. بل هم كانوا أحوج منا الى اقتباس الألفاظ الأعجمية ، وتنويع المعانى العربية لاستغنائنا عن كثير من ذلك ، بما وصل الينا مما اقتبسوه ونوّعوه من تلك الألفاظ

ولم تقتصر تلك النهضة العلمية على تنويع الألفاظ وتبديلها ، ولكنها أحدثت تنويعا فى التعبير يسهل علينا تصوره لكثرته فى نهضتنا هذه مما سنذكره فى حينه .. فالتغيير الذى أصاب اللغة العربية بنقل كتب العلم ، والفلسفة قسمان : أحدهما فى المفردات ، والآخر فى التراكيب . والتغيير اللفظى اما بتنوع الألفاظ العربية ، أو باقتباس ألفاظ أعجمية

١ ــ الالفاظ العلمية العربية

هى ألفاظ عربية تنوعت معانيها ، للدلالة على ما حدث من المعانى الجديدة العلمية ، والفلسفية ، التى تنوعت من قبل للدلالة على المعانى الشرعية ، واللغوية ، والأدبية فى صدر الاسلام

وأول تلك الألفاظ ، أسماء العلوم التى نقلت الى لساننا أو حدثت فيه على أثر ذلك ، كالطبيعيات ، والالهيات ، والرياضيات ، والمنطق ،

والهيئة ، والجبر ، والمقابلة ، ونحو ذلك ، مع ما فى كل علم من الاصطلاحات الخاصة به ، وهى كثيرة جدا .. اليك أمثلة منها :

(ا) الالفاظ الطبية

فالألفاظ الطبية العربية لم يكن منها فى الجاهلية الا مفردات قليلة ، كالحجامة ، والكى ، ونحوهما .. فحدث منها ما يدل على فنون الطب : كالكحالة ، والصيدلة ، والتشريح ، والجراحة ، والتوليد ، ومنها ما يختص باصطلاحات كل فن : كأسماء الرطوبات ، والأمزجة ، والاختلاط من الحار ، والبارد ، والجاف ، واليابس ، والسوداء ، والصفراء ، والبلغم ، والنبض ، والتخمة ، والانذار ، والهضم ، والبحران ، والمشاركات

وأسماء الأدوية : كالمسخنات ، والمبردات ، والمرطبات ، والمجففات ، والمسهلات ، والتطولات ، والمخدرات ، والاستفراغات ، والسعوطات ، والأدهان ، والمراهم ، والأطلية

والكلمات الدالة على أثر تلك الأدوية ، مثل : ملطف ، ومحلل ، ومنضج ، ومخشن ، وهاضم ، وكاسر الرياح ، ومخمر ، ومحكك ، ومقرح ، وأكال ، ولاذع ، ومفتت ، ومعفن ، وكاو ، ومبرد ، ومقو ، ومخدر ، ومرطب ، وعاصر ، وقابض ، ومسهل ، ومدر ، ومعرق ، ومزلق ، ومملس ، وترياق ، وغير ذلك

ومن الألفاظ الجراحية : الفسخ ، والهتك ، والوثى ، والرض ، والخلع ، والفتق ، وتفرق الاتصال ، ومفارقة الوضع ، والجبار ، وغيره

ناهيك بأسماء الأمراض أو أعراضها : كالصداع ، والكابوس ، والصرع ، والتشنج ، واللقوة ، والرعشة ، والاختلاج ، والسرطان ، والسلاق ، والشترة ، والشرناق ، والخانوق ، والذبحة ، والربو ، وذات الجنب ، وذات الرئة ، والجهز ، والضمور ، والخفقان ، والغثيان واليرقان ، والاستسقاء ، والدبيلة ، والاسهال ، والزحير ، والسحج ، والسدد ، والهيضة ، والبواسير ، ونحو ذلك .. مما لايمكن حصره

ومن أوصاف الأمراض أنواع الحميات : كالمزمنة ، والحادة ، والمختلطة ، والغب ، والمطبقة ، والربع ، والدق ، وغيرها .. غير الألفاظ التشريحية : كأسماء الأوعية الدموية ، ورطوبات العين ، وسائر الأعضاء الباطنة التى لم يكن العرب يعرفونها

ولأكثر الألفاظ الطبية العربية معان لغوية ، عرفها العرب قبل عصر العلم .. فلما احتاجوا الى المعانى الجديدة استعملوا من تلك الألفاظ ما يقرب معناه من المعنى المقصود (١)

(٢) الالفاظ الرياضية

ويقال نحو ذلك فى الألفاظ الكيماوية ، والرياضية ، والفلكية ، وسائر العلوم الطبيعية ، مما يضيق هذا المقام عن استيفائه ، وقد يلزم لاصطلاحات كل علم كتاب بذاته

فمن أمثلة الألفاظ الفلكية ، أكثر أسماء الأبراج ، والأفلاك ، والمصطلحات الفلكية ، والازياج ، وما يلحق ذلك ، كالرصد ، والتعديل ، والتقويم ، والخسوف ، والكسوف

ومن الألفاظ الرياضية فى الهندسة ، والحساب ، والجبر ، ما لايحصى ، كالمماس ، والمخروط ، والمثلث ، والمربع ، وغير ذلك

(٣) الالفاظ الفلسفية والمنطقية والكلامية

وأما الفلسفة والمنطق ، فاصطلاحاتهما تفوق الحصر.. ومن العلوم التى اقتضاها التمدن الاسلامى بعد نقل الفلسفة والمنطق الى لسان العرب ، علم الكلام والتصوف مع التوسع فى الفقه والأصول . وقد كان لهذه

---

(١) ووضعوا أسماء عديدة للمفردات الطبية ، مما لم تعرفه العرب فى الجزيرة من قبل . فترجموا بعض الاسماء الاعجمية بمعانيها ، منها : لسان الثور ، وآذان الفأر ، وكثير الارجل ، وآذان العنز ، وأنف العجل ، ولسان الكلب

العلوم تأثير كبير فى اللغة العربية ، فنـوّعت ألفاظها ، وأحدثت فيها ألفاظا جديدة :

وذلك كقولهم : الكون ، والظهور ، والقدم ، والحدوث ، والاثبات ، والنفى ، والحركة ، والسكون، والماسة ، والمباينة ، والوجود ، والعدم ، والطفرة ، والاجسام ، والاعراض ، والتعديل ، والتحرير ، والمصـاف ، من اصطلاحات علم الكلام . والهاجس ، والمريد ، والمراد ، والسالك ، والمسافر ، والسطح ، والقطب ، والهيبة ، والانس ، والبقاء ، والعناء ، والشاهد ، والفترة ، والمجاهدة ، من اصطلاحات التصوف

وقد تكاثرت الاصطلاحات الكلامية والصوفية والفقهية والاصـولية حتى صـارت تعـد بالألوف ، فاضطروا الى وضع المعجمات الخاصة لتفسيرها ، وشرح ما اكتسبته من المعانى المختلفة باختلاف تلك العلوم . ومن أشهر تلك المعجمات كتاب « التعريفات » للجرجانى فى نيف ومائة صفحة و « كشاف اصطلاحات الفنون » للتهانوى فى نحو ألفى صفحة كبيرة و « كليات أبى البقـاء » فى أربعمائة صفحة و « اصـطلاحات الصوفية » الواردة فى الفتوحات المكية وغيرها . فاذا ذكروا لفظا أوردوا معناه اللغوى ، ثم معناه الاصطلاحى فى الفقه أو الكلام أو التصوف أو الأصول مع ما يناسب ذلك من المعانى الرياضية أو الطبيعية أو النحوية .. وقد يغفلون المعنى اللغوى على الاطلاق

فيقول الجرجانى فى لفظ « القياس » مثلا : « القياس فى اللغة عبارة عن التقدير ، يقال : قست النعل بالنعل اذا قدرته وسويته ، وهو عبـارة عن رد الشيء الى نظيره . وفى الشريعة عبـارة عن المعنى المستنبط من النص لتعدية الحكم من المنصوص عليه الى غيره ، وهو الجمع بين الأصل والفرع فى الحكم . وفى المنطق قول" مؤلف من قضايا اذا سلمت لزم عنها لذاتها قول آخر ، كقولنا العالم متغير وكل متغير حادث ، فانه قول مركب من قضيتين .. اذا سلمتا لزم عنهما لذاتهما العالم حادث هذا عند المنطقيين. وعند أهل الأصـول ، القياس ابانة مثـل حكم المذكورين بمثل علته فى

الآخر واختيار لفظ الابانة دون الاثبات ، لأن القياس مظهر للحكم لا مثبت ، وذكر مثل الحكم ومثل العلة احتراز عن لزوم القول بانتقال الأوصاف واختيار لفظ المذكورين ليشمل القياس بين الموجودين وبين المعدومين » ثم ميز الجرجانى بين أنواع القياس بألفاظ تلحق به ، كالقياس الجلي والخفى والاستثنائى والاقترابى وقياس المساواة ، ولكل منها معنى اصطلاحى خاص

وفى الاصطلاحات الصوفية : « الهاجس » يعبرون به عن الخاطر الأول ، وهو الخاطر الربانى ، وهو لايخطىء أبدا .. وقد يسميه سهل السبب الأول ونقر الخاطر ، فاذا تحقق فى النفس سموه ارادة ، فاذا تردد الثالثة سموه همة ، وفى الرابعة سموه عزما ، وعند التوجه الى القلب ان كان خاطر فعل سموه قصدا ، ومع الشروع فى الفعل سموه نية . و « المريد » هو المتجرد عن ارادته ، وقال أبو حامد : « هو الذى فتح له باب الأسماء ودخل فى جملة المتوصلين الى الله بالاسم . و « المراد » عبارة عن المجذوب عن ارادته مع تهيىء الأمور له . فجاوز الرسوم كلها والمقامات من غير مكابدة . و « السالك » هو الذى مشى على المقامات بحاله ، لا بعلمه فكان العلم له عينا . و « المسافر » هو الذى سافر بفكره فى المعقولات والاعتبارات .. فعبر من عدوة الدنيا الى عدوة القصوى . و « السفر » عبارة عن القلب ، اذا أخذ فى التوجه الى الحق تعالى بالذكر .. وقس على ذلك

٢ ـ الالفاظ العلمية الاعجمية

حينما قام العرب بتعريب العلوم ، نقلوا من اصطلاحاتها الى لسانهم ما استطاعوا نقله ، ونوّعوا الألفاظ على مقتضى المراد كما تقدم . وما لم يستطيعوا تعريبه ، نقلوه بلفظه الى لسانهم .. وأكثر ما يكون ذلك فى أسماء العقاقير ، والأمراض ، أو الأدوات ، أو المصنوعات التى لم يكن لها شبيه فى بلادهم

فمما اقتبسوه من أسماء العقاقير : الافسنتين ، والبقدونس ، والزيزفون ، والسقمونيا ، والقنطاريون ، والمصطكى من اللغة اليونانية . والبابونج ، والبورق ، والبنج ، وخيار شمبر ، والراتينج ، والزرجون ، والزرنيخ ، والزاج ، والسرقين ، والاسفيداج ، والشاهترج ، والشيرج ، والمرداسنج من اللغة الفارسية

ومن أسماء الأمراض ونحوها من الاستعمالات الطبية : القولنج ، والترياق ، والكيموس ، والكيلوس ، وقيفال ، ولومان ، وملنخوليا من اليونانية .. وسرسام ، ومارستان من الفارسية

ومن المصنوعات والأدوات : الاصطرلاب ، والقيراط ، والانبيق ، والصابون من اليونانية .. والبركار ، والبوتقة ، والجنزار ، والدسكرة ، والاسطوانة من الفارسية

ومن الاصطلاحات الفلسفية ونحوها : الهيولى ، والاسطقس ، والفلسفة ، والطلسم ، والمغنطيس ، والاقليم ، والقاموس ، والقانون من اليونانية .. غير ما اقتبسوه من اللغة الهندية ، وأكثره من أسماء العقاقير ونحوها

فترى مما تقدم ان أهل تلك النهضة لم يكونوا يستنكفون من اقتباس الألفاظ الأعجمية ، ولم يتعبوا أنفسهم فى وضع ألفاظ عربية لتأدية المعانى التى نقلوها عن الأعاجم .. بل كانوا كثيرا ما يستخدمون للمعنى الواحد لفظين من لغتين أعجميتين . فالسرسام مثلا اسم فارسى لورم حجاب الدماغ ، استعمله العرب للدلالة على هذا المرض .. ولما ترجموا الطب من لغة اليونان استخدموا اسمه اليونانى وهو «قرانيطس» ولو استنكفوا من استخدام الألفاظ الأعجمية لاستغنوا عن اللفظين جميعا (١)

---

(١) اتبع النقلة وسائل مختلفة لوضع مصطلحات علمية منها :
تحوير المعنى اللغوى القديم للكلمة العربية ، وتضمينها المعنى العلمى الجديد واشتقاق كلمات جديدة من أصول عربية ، أو اشتقاق الفاظ جديدة من كلمات معربة ، ذلك للدلالة على معنى جديد .. وترجمة كلمات أعجمية بمعانيها ، وتعريب كلمات أعجمية ، وعدها صحيحة

هذا مطلب بعيد الأطراف ، يستغرق درسا طويلا وبحثاً عميقا ، لايأذن بهما المقام .. فنكتفى بالتنبيه اليه ، ونأتى ببعض الأمثلة لتأييد قولنا . لكننا بالقياس على ما دخل اللغة العربية من التراكيب الاجنبية فى أثناء نهضتنا الأخيرة ، بما نقلناه من علوم الافرنج الى لساننا ، نقطع بحدوث مثل ذلك فى النهضة العباسية ، ونقلة العلم يومئذ من غير أهل اللسان العربى ..

على اننا لو فحصنا لغة ذلك العصر ، وقابلنا بين عبارة كتب الطب ، والفلسفة ، وعبارة كتب الأدب ، لرأينا الفرق بينهما واضحا . واذا دققنا النظر فى سبب ذلك الفرق ، رأينا عبارة أصحاب الفلسفة تمتاز بأمور ، هى سبب ضعفها وركاكتها منها :

(١) استخدام فعل الكون بكثرة على نحو ما يستعمله أهل اللغات الافرنجية

(٢) كثرة الجمل المعترضة الشائعة عندهم

(٣) الاكثار من استعمال الفعل المجهول

(٤) استعمال ضمير الغائب « هو » بين المبتدأ والخبر حيث يمكن الاستغناء عنه

(٥) ادخال الألف والنون قبل ياء المتكلم فى بعض الصفات ، كقولهم روحانى ، ونفسانى ، وباقلانى ، ونحو ذلك ، مما هو مألوف فى اللغات الآرية ولا يستحسن فى اللسان العربى

ومن التعبيرات التى اقتبسها العرب من اللغة اليونانية ، ما لم يكن لهم مندوحة عنها ولا بأس منها :

(١) تركيب الألفاظ مع لا النافية ، وادخال أل التعريف عليها ، كقولهم اللانهاية ، واللاأدرية ، واللاضرورة

(٢) صوغ الاسم من الحروف أو الضمير ، مثل قولهم اللمية ، والكيفية ، والكمية ، والهوية

(٣) نقل الألفاظ من الوصفية الى الاسمية ، كقولهم المائية ، والمنضجة ، والخاصة

ومن هذا القبيل ، اقتباسهم بعض التعبيرات الفارسية الادارية مثل قولهم « صاحب الشرطة » و « صاحب الستار » وهو تعبير فارسى



الالفاظ العامة

كل ما ذكرناه من أمثلة نمو اللغة العربية فى العصر الاسلامى ، انما هو قاصر على تفرع ألفاظهـا وتجددها ، بما اقتضـاه الشرع ، والعلـم ، والفلسفة ، والادارة ، والسياسة . وهناك تغييرات أخرى ، نتجت عما طرأ على الآداب الاجتماعية من التغيير ، فضلا عن التجارة والصـناعة ، وما اقتضاه كل منها من تنوع الألفاظ العربية أو اقتباس الألفاظ الأجنبية ، كأسماء الأنغام الموسيقية ، والألحان وفروعها .. عدا ما اقتبسه المسلمون من العادات الاجنبية ، وما يتبع ذلك من أسماء الملابس ، والاطعمـة ، والاحتفالات مما تغنى شهرته عن ايراده

وهناك تغييرات أخرى أصابت ألفاظ اللغة بغير داع من الدواعى التى قدمناها ، بل هى جرت فى ذلك على ناموس الارتقاء العام القاضى على الأحياء بالتجدد والتنوع والتفرع ، لأسباب بعضها معلوم ، وبعضها غير معلوم . والغالب فى هذا التنوع أن يكون بالانتقال من معنى كلى الى معنى جزئى ، أو من معنى الى ما يشبهه ، أو يتعلق به ، مما يعبرون عنه بالتوليد .. فالألفاظ المولدة هى التى أحدثها المولّدون بعد أن دوّنت اللغة وضبطت ألفاظها فى أوائل الاسلام . والألفاظ المولدة أكثر كثيرا مما يظن اللغويون ، بل هى تتولد على الدوام بلا انقطاع . وكل ما تقـدم ذكره من الألفاظ الاسلامية ، والادارية ، والعلمية ، والتجارية ، إنما هو من قبيل المولد ، ولكنهم قلما يسمونها مولدة .. وعندهم ان القـاموس هو الحكم الفصل فى العربى والمولد العامى ، فما لايذكره القاموس بين الألفاظ العربية عدوه عاميا أو مولدا وحظروا استعماله

ولكن القاموس وحده لايكفى للحكم فى ذلك ، لأنه لم يتضمن كل ما تناقلته ألسنة البلغاء أو تداولتـه أقلام الكتاب ، ولا كل ما نطقت به العرب . .وقد فطن الى ذلك أئمة اللغـة فى العصر الاسـلامى وما بعده

ونبهوا اليه .. قال ابن فارس : « ان لغة العرب لم تنته الينا بكليتها ، وان الذى جاءنا عن العرب قليل من كثير » وقال السيوطى : « ومع كثرة ما فى القاموس من النوادر والشوارد ، فقد فاته أشياء ظفرتُ بها فى أثناء مطالعتى لكتب اللغة ، حتى هممت أن أجمعها فى جزء مذيلا عليه »

فعدم ورود اللفظ فى القاموس لايدل دائما على انه عامى أو ضعيف .. ناهيك بألفاظ كثيرة ، اكتسبت بالحضارة معانى جديدة لم يدونها القاموس ، لأن الأئمة اعتبروها من قبيل الألفاظ العامية .. ولكن الكتاب استعملوها ، وفيهم المشاهير المشهود لهم بالبلاغة وسلامة الذوق

***

فالأصل فى معنى « البيت » فى القاموس البناء المعروف ، والشرف ، والشريف . فكانوا يقولون بيت بنى تميم أى شرفهم ، وفلان بيت قومه أى شريفهم ، وبيت القصيدة أحسن أبياتها قال « والعامة تقول هو من بيت فلان ، أى من عائلته » مع ان استعمال البيت بمعنى العائلة مما تداولته أقلام البلغاء وفى مقدمتهم ابن خلدون ، وقد عرَّفه بقوله : « البيت أن يعد الرجل فى آبائه أشرافا مذكورين تكون له بولادتهم اياه والانتساب اليهم تجلة فى أهل جلدته » وقال : « وكان بنو اسرائيل بيتا من أعظم بيوت العالم »

و « الحضارة » الأصل فى معناها سكنى المدن أى ضد البداوة .. فلما تحضر العرب ، وكثر الترف فى مدنهم ، صار معنى الحضارة عندهم « التفنن فى الترف واحكام الصنائع المستعملة فى وجوهه ومذاهبه من المطابخ والملابس والفرش وغيرها »

ويقال نحو ذلك فى « العمران » فان أصل معناها من عمَّر الرجل فى المكان سكن فيه ، ثم صارت تدل على معنى المدنية والحضارة

وهذا ما أصاب لفظ « التمدن » فانها من تمدن الرجل ، أى تخلق بأخلاق أهل المدن ، ثم دلوا بها على مثل ما تدل عليه الحضارة أوالعمران أو المدنية

وقد استعملوا « ركاب السلطان » بمعنى موكبه ، ولا تجد لهذه اللفظة هذا المعنى فى القاموس ، ولكن الكتاب استعملوها له

وكذلك « كافة » فقد نبه القاموس أنها تستعمل فى مثل : « جاء الناس كافة » أى كلهم ، وانها لا تدخل عليها أل التعريف ولا تضاف . ولكن بلغاء الكتاب قد استعملوها فى الحالين مرارا :

قال ابن خلدون : « لما كان الجهاد فيها مشروعا لعموم الدعوة وحمل الكافة على دين الاسلام »

وقال صاحب أدب الدنيا والدين : « وفرض جميعه على الكافة كان أولى مما لم يجب فرضه على الأعيان ولا على الكافة »

***

وقال أبو اسحق الصابى الكاتب الشهير من نسخة عهد كتبها عن المطيع لله الى الغضنفر بن ناصر الدولة : « أمره أن يعرف لركن الدولة أبى على وعز الدولة أبى منصور موليى أمير المؤمنين تولاهما الله حق منزلتهما من أمير المؤمنين وغنائهما عن كافة المسلمين »

ومن الألفاظ التى استعملها الكتاب القدماء ، واقتدى بهم كتابنا .. مع ان استعمالها يخالف قول القاموس ، تخصيص « القينة » بمعنى المغنية ، والأصل اطلاقها على الأمة مغنية كانت أو غير مغنية

و « المقراض » و « المقص » فان الأصل فى استعمالها بالمثنى ، لأنهما مقراضان ومقصان ، أى شفرتان . فيقال : « قرضته بالمقراضين » و « قصصته بالمقصين » . وقلما نرى بين الكتّاب القدماء أو المحدثين من يستعملهما كذلك ، بل هم يقولون : قرضته بالمقراض ، وقصصته بالمقص

والأصل فى « المأتم » الاجتماع على العموم ، ثم خصصوه بالاجتماع فى مجتمع النياحة

و « أرق » فى الأصل للسهر فى مكروه ، ثم صار عاما

ومن الاستعمالات الجارية على أقلام الكتاب ، وهى خطأ باعتبار القواعد المدونة ، قولهم : « بدأ به أولا » والصواب : « بدأ به أولُ »

مثل قولهم قبلُ ، وحكمهما واحد

ومن هذا القبيل ، جمع حاجة على حوائج ، وعادة على عوائد ، وهما شائعتان عند الكتاب مع مخالفتهما للقاعدة

وكذلك جمع ريح على أرياح خطأ ، ولكن الحريرى استعملها ومثله جمع أرض على أراضى وجمع الجواب على أجوبة

وقولهم : « شفعه بثالث » غلط ، اذ لايقال شفعه الا للثانى من الشفع

والأصل فى « القافلة » الرفقة الراجعة ، فصارت تطلق على الرفقة المسافرين ذهابا أو ايابا

***

وقس على ذلك تنوعات كثيرة يعدها القاموس خطأ ، وقد نبه الى خطأها جماعة من فطاحل البلغاء ، وألفوا فى تصحيحها الكتب

وأشهر ما ألّفوه كتاب « درة الغواص فى أوهام الخواص » لأبى محمد الحريرى صاحب المقامات ، وقد شرحها وعلق عليها كثيرون ، منهم ابن بيرى بن عبد الجبار النحوى المتوفى عام ٥٨٢ هـ ، وأبو عبد الله المعروف بحجة الدين الصقلى المتوفى عام ٥٥٥ ، وابن المظفر المكى المتوفى عام ٥٦٨ ، وابن الخشاب النحوى ، وأبو بكر الانصارى ، وأحمد الخفاجى المصرى ، وغيرهم .. وكل من هؤلاء أضاف الى ذلك الكتاب ألفاظا من هذا القبيل فاتت صاحب الدرة ، ونبهوا الى خطأ استعمالها .. ومع ذلك فالطبيعة غلبت على آرائهم وأقوالهم لأن ما عدوه خطأ ، انما هو من نتائج النواميس الطبيعية التى لابد منها .. سنة الله فى خلقه

الالفاظ النصرانية واليهودية

نريد بالألفاظ النصرانية واليهودية ، ما دخل اللغة العربية من الاصطلاحات الدينية لأهل الكتاب ، وخاصة بعد أن نقلت التوراة ، والانجيل الى اللسان العربى .. فقد كانت لغة الدين المسيحى قبل الاسلام السريانية ، واليونانية ، والقبطية (١) .. ولغة اليهود العبرانية ، على تفاوت فى استخدام الواحدة دون الأخرى ، واختلاف ذلك باختلاف العصور والأماكن

فلما جاء الاسلام ، وانتشر المسلمون فى العراق ، والشام ، ومصر ، وتسلطت اللغة العربية ، أخذت تلك اللغات تتقهقر ، حتى توارت .. ولم يبق منها الا آثار قليلة فى بعض الطقوس ، فالمسيحيون أصبحت العربية لغتهم ، ولكنهم لم يستطيعوا التعبير بها عن كل اصطلاحاتهم الدينية ، ولما ترجموا التوراة والانجيل الى العربية ، أبقوا كثيرا من الألفاظ الدينية على لفظها ومعناها .. على ان كثيرا من الألفاظ النصرانية دخلت اللغة العربية فى العصر الجاهلى ، كالقسيس ، والدير ، والتوراة ، والانجيل ، وغيرها

١ ـ الالفاظ الدينية والسريانية

واليك أشهر الألفاظ النصرانية واليهودية التى دخلت اللغة العربية وأصلها سريانى ، أو كلدانى ، مرتبة على حروف الهجاء ، وقد يشتبه بعضها بالأصل العبرانى ، أو ربما كان بعضها عبرانيا .. وقد وصل العربية على يد السريان

---

(١) والحبشية

آب بالمد لاسم الله بحران		تفشرة	جهنم (١)
عز وجل	برخ	توبة (٢)	حانوت
اسطوانة (٣)	برنسآء (٤)	توراة (٥)	حبر (٦)

(١) جهنم : أنظر صفحة ٣٣ هامش (١)

(٢) توبة : انظر صفحة ٣٧ هامش (٢)

(٣) الاسطوانة هي اللائطــة أو السارية ، ويراد بها كل ما يسند به من حائط ، أو سقف ، أو باب أو مزلاج ، أو نحو ذلك . والاسطوانة من «أستون» الفارسية أو من اليونانية « ستوا »

(٤) برنساء من السريانية ، وقال فيها العرب أيضا : برشان ، وبرنساء ، وبرنشاء

(٥) توراة من العبرية وهي من « تورا » أي سنة أو شريعة . وقد دخلت العربيةعن طريق الآرامية ، وهي في الارامية « أوريتا » . ويظهر أن أولها أخذ من العبرية وآخرها من الآرامية ، ويوافق رسمها في القرآن باليـــــاء لفظها الآرامي

(٦) الحبر : ذكر صاحب لسان العرب : «ابن سيدة ، الحبروالحبر (بالكسر): العالم ، ذميا كان ، أو مسلما ، بعد أن يكون من أهل الكتاب . . . وسأل عبد الله بن سلام كعبا عن الحبر . . فقال : هو الرجل الصالح . . وجمعه : أحبار وحبور . . قال أبو عبيد : واما الاحبار والرهبان ، فان الفقهاء قد اختلفوا فيهم ، فبعضهم يقول حبر ، وبعضهم يقول حبر (بكسر الحاء) . وقال الفراء ، انما هو حبر (بكسر الحاء) وهو أفصح ، لانه يجمع على أفعال ، دون فعل . ويقال ذلك للعالم . وانما قيل « كعب الحبر » لمكان هذا الحبر الذي يكتب به ، وذلك لانه كان صاحب كتب . . وقال الاصمعي : لا ادري أهو الحبر أو الحبر (بكسر الحاء) للرجل العالم . قال أبو عبيد : والذي عنـــدي ، أنه الحبر (بفتح الحاء)، ومعناه العالم بتحبير الكلام ، والعلم ، وتحسينه . قال : وهكذا يرويه المحدثون كلهم بالفتح

وكان أبو الهيثم يقول : واحد الاحبار حبر لا غير ، وينـكر الحبر (بكسر الحاء) وقال ابن الاعرابي : حبر وحبر (بكسر الحاء أو فتحها) للعـــالم . ومثـله : بزر وبزر (بكسر الباء أو فتحهـا) ، وسجف وسـجف . قـال الجوهري : الحبر والحبر واحد : واحد أحبار اليهود ، وبالكسر أفصح . ورجل حبر نبر . وقال الشماخ :

كما خط عبرانية بيمينه بتسيماء حبر ثم عرض أسطرا

رواه الرواة بالفتح لا غير . قال أبو عبيد : هو الحبر . ومعناه العالم بتحبير الكلام . وفي الحديث . سميت سورة المائدة : المائدة وسورة الاحبار ، لقوله تعالى : « فيها يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا ، والربانيون

آمين	ترعة (١)	تيمن	دين بمعنى الحكم (٢)
أنبا	تلميذ (٣)	جالوت	دير
باعوث (٤)	تنور	جبروت	رشم الطفل (٥)
زياح	صحاح	قـدّاس	مزمور
زيق	صراط (٦)	قربان	مشحة

والاحبار » ، وهم العلماء ، جمع حبر وحبر ، بالكسر والفتح . وكان يقال لابن عباس الحبر والبحر ، لعلمه »

ومادة (ح ب ر) فى الآرامية ، معناها : الحبر ، وهو العالم اللاهوتى ، أو القدسى ، أو القسيس . « وحبر » فى الارامية بمعنى اخذ ، وسحر ، ورقى ، وعزم . و « حبارا » : العراف ، والمؤخذ ، والساحر ، والحواء ، والرقاء ، والمعزم . أما فى العربية فمعناها يقابل المعانى العربية

(١) ترعة هى الطبع .. قال الازهرى صاحب التهذيب : « أما الانهار التى شقها الله تعالى فى الارض شقا ، مثل دجلة والفرات والنيل وما أشبهها ، فانها لا تسمى طبوعا ، وانما الطبوع : الانهار التى أحدثها بنو آدم ، واحتفروها لمرافقهم » . والترعة : الباب . وهو بالآرامية « ترعا » أى الباب ، وهو مشتق عندهم من « ترع » أى شق ونقب وفتح . وهو يقابل العربية « ثغر »

(٢) دين .. بمعنى الديانة فارسية الاصل ، دخلت العربية عن طريق الآرامية . وأما دين بمعنى الدينونية أو الحكم ، فهى آرامية الاصل ، وهى فى الاكدية « دين »

(٣) تلميذ وهو بالعربية خريج .. مادتها السامية (لمد) وهى فى الاكدية والعبرية بمعنى تعلم . ولو كانت مادة هذا الفعل ذالا فى الاصل لاحتفظت بالذال فى العربية ولانقلبت زايا فى الاكدية والعبرية . أما الذال فى لفظة « تلميذا » بالارامية و « لامد » فى العبرية ، فقد أبدلت من الدال لان الحروف الشديدة ، غير المطبقة ، تصبح رخوة فى العبرية والارامية ، اذا سبقت بحركة ، أما اذا سبقها حرف ساكن فتبقى على حالها

فالعربية استعارت الكلمة من الآرامية بطريقة نطقها ومعناها . ومادة « لمد » فى العربية بمعنى تواضع له بالذال ، وهو بعيد عن معنى تلميذ .

(٤) باعوث من السريانية ، وذكر صاحب القاموس خطأ ، أنهم ينطقونها أيضا باغوث

(٥) رشم : أى رسم صورة الصليب من الارامية ، ويقابلها فى العربية رسم

(٦) صراط ، وهى من اللاتينية : انظر صفحة ٣٢ هامش (٢)

ساعور	صلوت	قسّيس	ملكوت
تسبيح	طاغوت	قيامة	ميمر
سبط	طوبى	كاروز	ناسوت
سعانين (١)	طور	كرّاس	ناطور
سفر	طوفان	كنيسة	ناقوس
سفسير	عرّاب	كهنوت	نياحة
سليح	عروبة	كورة	يم
سنور	عماد	لاهوت	يونانى
شبين (٢)	غفّارة	مار	
شمّاس	فِصح	مرعزّا	

فضلا عن أسماء الشهور الشمسية مثل : كانون ، وتشرين ، وايلول (٣)

ومن الألفاظ النصرانية ، ما هو من أصل يونانى دخل العربية اما رأسا واما بواسطة اللغة السريانية ، مثل قولهم: انجيل (٤) ، وهرطقة ، واسقف ، ومطران ، وطقس ، وطغمة ، وقس على ذلك ..

٢ ـ التراكيب أو العبارات النصرانية

نريد بهذه التراكيب ما دخل العربيـة من أساليب اللغة السريانيـة ،

(١) سعانين أو شعانين

(٢) شبين أو الاشبين

(٣) ومنها أيضا : دنج (وصحفها أكثر كتاب الاخبـار والتـاريخ الى « الذبح ») ، والاسكيم ، والمعمودية ، والثالوث ، والطيبوت (وصحفت أحيانا الى الطيبوث) ، والبيعة ، والكرح ، القلاية ، والمسيح

ج ـ انجيل : من اليونانية « انجيليون » ودخلت العربية عن طريق الحبشية ، فهى فى الحبشية « ونجيل »

(٤) بدأ نقل علوم اليونان والفرس والهنـد فى أواخر عهـد الامويين ، وظهرت منذ ذلك العصر نواة الترجمة ، وتقدمت حركة الترجمة قليلا فى أيام المنصور وهارون الرشيد وبلغت أوجها فى أيام المأمون . ففى عصر المأمون

←

والعبرانية ، واليونانية ، وخاصة بعد ترجمة التوراة ، وهى كثيرة نأتى بأمثلة منها :

فمن التراكيب العبرانية قولهم :

قال فى قلبه : أى افتكر

واستراح الله من جميع عمله الذى عمله

من جميع شجر الجنة تأكل أكلا ... واذا أكلت موتا تموت

وحدث بعد أيام أن قايين قدم أثمارا .. وحدث اذ كانا فى الحقل ان قايين قام على أخيه .. الخ

فيكون اذا رآك المصريون انهم يقولون : هذه امرأته

صنع له خيرا وصنع له شرا : بدل أحسن اليه وأساء اليه

ورفع عينيه ونظر

نقلت جملة كبيرة من علوم القدماء كالطب والفلسفة والرياضيات والفلك والكيمياء والطبيعة وغيرها ، واستمر النقل بعد المأمون حتى شمل أهم كتب القدماء العلمية والفلسفية . وقد أدت حركة الترجمة الى ابتكار مصطلحات علمية كثيرة دخلت اللغة العربية ، واندمجت فى جملة ألفاظها ، وادمج معظمها فى معجماتنا القديمة . وكانت هذه المصطلحات كافية للتعبير عن علوم القدماء اجمالا ، ومنها ما يزال صالحا للتعبير عن بعض العلوم الحديثة

أما فى عصر الانحطاط فقد استخدمت الفاظ مولدة عديدة ، لا وجود لها فى المعجمات العربية ، منها المستساغ الذى يفيد اثباته فى صلب اللغة واقراره وعده من صحيح الكلم ، ومنها المرذول الذى يشمل على مولدات أعجمية تسودها العجمة ، ولا يتعذر ان تجد ما يقابلها فى العربية

وقد حافظت العربية على كثير من الالفاظ الدخيلة بالرغم من وجود مترادفات لها فى العربية كان يمكن أن تقوم مقامها .. وكانت المحافظة على هذه الالفاظ الدخيلة لاسباب منها : خفة الكلمة الاعجمية ، او رشاقتها ، أو وزنها العربى ، أو مشابهة مادتها للمادة العربية . أمافى عصر الانحطاط ، فقد اضطرت اللغة ان تحافظ على الالفاظ المرذولة . ففى العهد التركى الذى كان أشأم العهود التى مرت على اللغة العربية ، كانت لغة الدولة هى اللغة التركية وكانت التركية هى لغة التدريس فى معظم البلاد العربية ، وكانت اللغة العربية تدرس باللغة التركية . ولم يكد العهد التركى ينقضى فى أعقاب الحرب الكبرى الاولى ، حتى نفضت اللغة العربية ثقل هذه المصطلحات المرذولة عنها وأخذت فى ايجاد المترادفات العربية التى تقوم مقامها . وكادت اللغة العربية فى العصر الحاضر ان تخلو من هذه المصطلحات والتعبيرات

وصار كلام الرب الى ابرام قائلا
قد وجد نعمة فى عينيه
حسن ذلك فى عينى الله .. وقبح ذلك فى عينى الله
فتح فاه وعلمهم
ومن التراكيب اليونانية قولهم :
هكذا مكتوب بالنبى
وفى تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان
ثم أصعد يسوع الى البرية من الروح ليجرب من ابليس
وفيما هو خارج من الطريق ركض واحد وجثا له
تكلم الرب بفم أنبيائه

وربما كان فى بعض هـذه التراكيب مسحة غير يونانية لاعتمـاد أكثر مترجمى الأناجيل على بعض ترجماتها فى اللغات الأخرى فضلا عن الأصل اليونانى .. على اننا لا نعد هذه التراكيب مما يستحسن اقتباسه والنسج على منواله ، وانما هو خاص فى لغـة الكتاب المقدس أدخله المترجمون لاضطرارهم الى المحافظة على النص الحرفى



الالفاظ الدخيلة والمولدة

فى عصر التدهور

ما برحت اللغة العربية منذ الفتح الاسلامى ، وهى تكتسب الألفاظ الأعجمية والتراكيب الاجنبية كما رأيت ، مما دخلها من الألفاظ الادارية والعلمية فى العصر العباسى وغيره حتى فى العصر الجاهلى .. ولكن المراد بالألفاظ الأعجمية فى هذا الفصل ، ما خالط اللغة من الألفاظ والتراكيب الأعجمية ، بعد انقضاء دولة العرب ، وافضاء الملك الى السلاطين والأمراء من الفرس ، والديلم ، والترك ، والأكراد ، والجركس ، فى العراق ، وفارس ، والشام ، ومصر وغيرها

لأن اللغة العربية ما زالت سائدة فى تلك الدول ، على اختلاف نزعاتها ولغاتها ، وكانت فى أكثرها هى اللغة الرسمية التى تتخاطب بها الحكومات . ولم تكن الدول الأعجمية أقل عناية بآداب اللغة العربية من الدول العربية ، بل كانوا أكثر اهتماما منهم فى انشاء المدارس ، وتعليم الفقراء ، واستنساخ الكتب ، ولكن حال العمران على اجماله يومئذ قضى على اللغة بالانحطاط ، فدخلها التكلف والتجمل والتصنع ، وتكاثرت فيها ألفاظ التفخيم والتبجيل .. وشاع التسجيع فى الانشاء ، وحدث فى تلك الدول وظائف جديدة ، وتنوعت الوظائف القديمة ، فحدث فى اللغة ألفاظ جديدة ، أو تنوعت الألفاظ القديمة للتعبير عن تلك المستحدثات

السجع والتفخيم

فالتفخيم والتبجيل والتمليق ، اقتضت العناية فى تنميق العبارات وتحشيتها ، وكان السجع قد اشتهر على أقلام الكتاب ، فبالغوا فى تنميقه وتوسيعه . والتزام السجع ، يدعو الى استخدام الألفاظ الوحشية

المهجورة ، حتى يصير الى ما تنفر منه الأسماع

والسجع حسن اذا جاء عفوا بلا تكلف ، لا أن يتعمده المسجعون بالتعمل والتصنع حتى يمجه الذوق ، وينفر منه السمع . وأصبح التسجيع فى ذلك العصر كثيرا ، يتفاخر به أكبر الكتاب ، والناس يومئذ يعدون ذلك مستحسنا ، ونحن نراه قبيحا ولو كان قائله من أشهر الكتبة ، كالعماد الأصفهانى فانه تعمد التسجيع فى كلامه عن فتح بيت المقدس ، فى كتابه المسمى الفتح القسى ، وهو من أشهر كتبه . واليك عبارة منه تدل على باقيه ، وهى قوله فى رحيل صلاح الدين للفتح : « رحل من عسقلان للقدس طالبا . وبالعزم غالبا . وللنصر مصاحبا . ولذيل العز ساحبا . وقد أصحب رَيّض مناه . وأخصب روض غناه . وأصبح رائج الرجاء . أرج الأرجاء . سيّب العَزْف . طيب العَرف . طاهر اليد . قاهر الايد . سنى عسكره قد فاض بالفضاء فضاء . وملأ الملأ فأفاض الآلاء . وقد بسط عثير فيلقه مثلاءته على الفلق . وكأنما أعاد العجاج ردَّ الضحى جنحَ الغسق . فالأرض شاكية من أجحاف الحجافل . والسماءُ حاظية بأقساط القساطل الخ »

فترى من نص هذه العبارة ، انهم كانوا يستعينون بالتسجيع للاطناب على ما اقتضاه حال تلك الأيام وتلك الدول من التفخيم ، لأن فى التسجيع رنة توهم الاطناب والاطراء .. ولهذا السبب أيضا كثرت المترادفات فى نعوت التفخيم ، فمن أمثلة ذلك ما قالهُ المرادى فى تعريب الشيخ عبد الغنى النابلسى فى كتابه « أعيان القرن الثانى عشر للهجرة » قال :

« هو أستاذ الأساتذة ، وجهبذ الجهابذة الولى العارف ينبوع العوارف والمعارف ، الامام الوحيد ، والهمام الفريد ، العالم العلامة ، والحجة الفهامة ، البحر الكبير ، والحبر الشهير ، شيخ الاسلام صدر الأئمة الأعلام ، قطب الأقطاب الذى لم تنجب بمثله الأحقاب ، العارف بربه ، والفائز بقربه وحبه ، ذو الكرامات الظاهرة ، والمكاشفات الباهرة الخ .. الخ » ولم يكن ذلك التطويل قاصرا فى وصف رجال الفضل ، كالنابلسى ،

بل كان شاملا كل انسان

وما زالت الركاكة تتوالى على الانشاء العربى ، حتى بلغت منتهاها فى أول القرن الماضى ، وكثرت الألفاظ العامية والدخيلة .. فمن أمثلة ذلك ما جاء فى الجبرتى فى أثناء كلامه عن حرب الفرنسيين وهى قوله : « وفى الثلاثة حضر هجان وباش سراجين ، ابراهيم بك وأخبر أن الجماعة عزموا على الارتحال والرجوع ، وفك الجسر ، فعمل الباشا ديوانا الخ » وقوله : « وفى ذلك اليوم وصل ططرى من الديار الرومية وعلى يده مرسومات ، فعملوا فى صبحها ديوانا وقرئت المرسومات الخ »

١ ــ الالفاظ المولدة فى عصر التدهور

هذا ما يقال من حيث التراكيب ، وأما الألفاظ فقد كثر فيها الدخيل والمولّد (١) ، وأكثرها فى الألفاظ الادارية المتعلقة بالحكومة ونظمها وما يتعلق بها

واليك أمثلة من الألفاظ المولدة فى عصر التدهور مما يختص بالادارة ، وقد وضعنا بازاء كل لفظ ما صار اليه معناه فى ذلك العصر :

النائب : القائم مقام السلطان

الساقى : المتولى مد السماط وتقطيع اللحم وسقى المشروب

(١) فى عصر التدهور ، استخدمت ألفاظ مولدة عديدة ، لا وجود لها فى المعجمات العربية ، منها المستساغ الذى يفيد اثباته فى صلب اللغة واقراره وعده من صحيح الكلم ، ومنها المرذول الذى يشمل على مولدات أعجمية تسودها العجمة ، ولا يتعذر أن تجد ما يقابلها فى العربية ، وقد حافظت العربية على كثير من الالفاظ الدخيلة بالرغم من وجود مترادفات لها فى العربية كان يمكن أن تقوم مقامها • وكان سبب المحافظة على هذه الالفاظ الدخيلة لاسباب منها : خفة الكلمة الاعجمية ، أورشاقتها ، أو وزنها العربى ، أو مشابهة مادتها للمادة العربية •

أما فى عصر التدهور ، فقد اضطرت اللغة أن تحافظ على الالفاظ المرذولة • ففى العهد التركى ، الذى كان أشأم العهود التى مرت على اللغة العربية ، كانت لغة الدولة هى اللغة التركية ، وكانت التركية هى لغة التدريس فى معظم البلاد العربية ، وكانت اللغة العربية تدرس باللغة التركية • ولم يكد العهد التركى ينقضى فى أعقاب الحرب الكبرى الاولى ، حتى تخلصت اللغة العربية من هذه المصطلحات المرذولة

المشرف : متولى أمر المطبخ
ملك الأمراء : من الألقاب التى اصطلحوا عليها لنواب السلطان
رأس النوبة : الذى يتحدث على مماليك السلطان
أمير المجلس : الذى يتولى أمر مجلس السلطان

وقس على ذلك سائر الرتب المحدثة فى الدول التركية ، والكردية ، كأمير السلاح ، ومقدم المماليك ، وأمير علم ، ونقيب الجيش ، والعامل .. وهذا غير العامل فى الدولة العربية فانه فى الدولة التركية يراد به منظم الحسابات .. ومثلها الصيرفى ، وكاتب السر ، والناظر .. وهو خاص فى الأموال ، وصاحب الديوان ، والشاهد ، وغيرها

ومن هذا القبيل الألفاظ أوالنعوت التى تكتب فى المكاتبات والولايات ، واليك أمثلة منها :

الجانب : من ألقاب ولاة العهد بالخلافة ومن فى معناهم ، كامام الزيدية اليمنى فى مكاتباته عن الأبواب السلطانية
المقام : هو خاص بالملوك
المقر : يختص بكبار الأمراء ، وأعيان الوزراء ، وكتاب الشرف : كناظر الخاص ، وناظر الجيش ، وكاتب الدست
الجناب : من ألقاب أرباب السيوف والأقلام جميعا .. فيما يكتب به عن السلطان وغيره من النواب ومن فى معناهم
المجلس : هو من ألقاب أرباب السيوف والأقلام ممن لم يؤهل لرتبة الجناب
مجلس (بلا أل) : يضاف الى ما بعده ، فاذا قيل مجلس الأمير كان لقب أرباب السيوف على اختلاف طبقاتهم ، واذا قيل مجلس القاضى كان مختصا بأرباب الأقلام . واذا قيل مجلس الشيخ كان لقب الصوفية وأهل الصلاح . واذا قيل مجلس الصدر كان للتجار وأرباب الصنائع
الحضرة : ويراد بها حضرة صاحب اللقب ، وهى من الألقاب القديمة التى

كانت تستعمل فى مكاتبات الخلفاء .. وكان يقال فيها الحضرة العالية والحضرة السامية ، ثم صارت تستعمل فى العصر الذى نحن فيه للمخاطبة من الأبواب السلطانية الى بعض الملوك أو الأعيان

هذه أمثلة قليلة مما تولد فى اللغة العربية من الألفاظ التى اقتضاها عصر الدول الأعجمية ، وأكثرها كان له معنى وتنوع على ما اقتضته الأحوال عملا بناموس الارتقاء

٢ ــ الالفاظ الدخيلة فى عصر التدهور

وأما الألفاظ الدخيلة ، ففيها الفارسى ، والتركى ، والكردى .. وكلها ادارية من اصطلاحات الحكومة ، واليك أمثلة منها :

الاستادار : يتولى قبض مال السلطان أو الأمير وصرفه ويمتثل أوامره فيه

الجوكاندار : لقب من يحمل الجوكان مع السلطان فى لعب الكرة

الطبردار : الذى يحمل الطبر

سنجقدار : يحمل السنجق وهو العَلَم

البندقدار : وهو يحمل جراوة البندق خلف السلطان أو الأمير

الجمدار : الذى يتصدى لالباس السلطان أو الأمير ثيابه وأصله جامادار

البشمقدار : يحمل نعل السلطان

المهمندار : يهتم بالرسل والعربان الواردين على السلطان وينزلهم الضيافة

الزنان دار : وهو الزمام دار يتحدث مع السلطان ، وهو من الخدم أو الخصيان

الجاشنيكر : يتصدى لذوقان المأكول خوف التسمم

السراخور : يتحدث عن علف الدواب

أميراخور : صاحب الاصطبل

أميرجاندار : يستأذن على الأمير وغيره فى أيام المواكب

وقس على ذلك ما دخل اللغة فى ذلك العصر من الاصطلاحات العسكرية والمالية والتجارية ، ومن هذا القبيل الاصطلاحات العسكرية والادارية فى الدولة العثمانية ، وبعضها تركى ، أو فارسى صرف ، وبعضها مركب من التركى ، أو الفارسى ، والعربى : كالجاويش ، واليوزباشى ، والبكباشى ، والسرعسكر ، والمابين ، والسركى ، والياور ، وأميرالاى ، والأوردى ، والآلاى ، والطابور ، والباشا ، والبيك ، والأغا ، ومنها ما هو عربى بصيغة تركية : كالمكتوبجى ، والمابنجى ، والمحاسبجى ، والباشكاتب ، والسلاملك ، وما ينتهى بلفظ « خانة » كالرصدخانة ، والكتبخانة ، أو بلفظ «دار» كالدفتردار ، والخزندار .. ناهيك بالألفاظ العربية المولدة التى اكتسبت معانى جديدة فى الدولة العثمانية : كالناظر ، والمتصرف ، والمحتسب ، والتابعية ، والمسئولية ، والصدر الأعظم ، والمدعى عمومى ، والقائمقام ، ونحو ذلك وهو كثير جدا ، وسيأتى ذكر بعضه مفصلا فى أثناء كلامنا على النهضة العلمية الأخيرة

النهضة العلمية الاخيرة

لم يمر على اللغة العربية عصر أثر فى ألفاظها وتراكيبها تأثير النهضة الأخيرة فى أواسط القرن الماضى ، لأنها جاءتها على غرة دفعة واحدة .. فانهالت فيها العلوم انهيال السيل ، وفيها الطب ، والطبيعيات ، والرياضيات ، والعقليات وفروعها ، ولم تترك للناس فرصة للبحث عما تحتاج اليه تلك العلوم من الألفاظ الاصطلاحية مما وضعه العرب أو اقتبسوه فى نهضتهم الماضية ولا لوضع الأوضاع الجديدة . والسبب فى ذلك ان الذين اشتغلوا فى ميادين العلوم الحديثة عند أول دخولها مصر والشام فى أواسط القرن الماضى ، لم يكونوا على سعة من علم اللغة .. فلما ترجموا تلك العلوم الى اللغة العربية لم يهتدوا الى مصطلحاتها القديمة ، أو اهتدوا الى بعضها ووضعوا للبعض الآخر ألفاظا لا تنطبق على المراد بها تمام الانطباق .. لكنها صقلت بتوالى الأعوام وصارت تدل على المراد ، كما أصاب أمثالها فى أثناء النهضة العباسية وغيرها (١)

فلما انقضت تلك البغتة ، وتكاثرت المدارس ونشأ الكتاب وعلماء اللغة ، عادوا الى النظر فيما دخل اللغة من المصطلحات العلمية ، أو

---

(١) حدث ، فى أوائل عصر نقل العلوم الى العربية ، مايشبه حركة نقل العلوم فى أوائل النهضة العلمية الاخيرة

كان الذين وضعوا العلوم النقلية مثل الفقه والحديث والتفسير وما اليها ، عارفين بأسرار اللغة العربية . ولذلك جاءت مصطلحاتهم فصيحة ومحكمة ومستنبطة من صلب اللغة . أما الذين نقلوا العلوم المختلفة الى العربية ، فكان عملهم ليس باليسر الذى قابله واضعو العلوم النقلية .. لان كثيرا من العلوم كان مجهولا عند العرب ، وكان من العسير أن يبتكر العلماء الالفاظ العربية المتنوعة للموضوعات المختلفة فى هذه العلوم . وكان من نتيجة ذلك ، أن النقلة أخذوا فى تعريب الكلمات الاعجمية لسهولة ذلك ولعدم اتساع علمهم لعلم اللغة العربية . فعربوا مثلا الحساب بأرتماطيقى ، والطبيعة بفيزيقى ، والمقولات بقاطيغورياس ، والعنصر بأسطقس ، وهكذا . ولما حسن اطلاع النقلة على العربية وتقدمت العلوم وزاد العلماء من انتاجهم العلمى بالعربية أوجدوا لهذه المصطلحات ما يقابلها بالعربية

الادارية الجديدة ، وقلّما استطاعوا تبديل شيء منه لتأصله وشيوعه فى الكتب والجرائد والأندية وغيرها .. على انهم لم يعدموا وسيلة فى اصلاح الانشاء والرجوع بعباراتهم الى نحو ماكانت عليه فىصدر الدولة العربية ، لأنهم تحدوا فطاحل الكتّاب فى تلك العصور مع مراعاة الذوق والسهولة .. فنبغ بيننا كتّاب لا يفضلهم ابن المقفع ، ولا ابن خلدون ، ولا غيرهما من صفوة الكتّاب وعمدة المنشئين فى شيء .. وقد أغفلوا السجع البارد ، وقللوا من الاطناب وأبطلوا المترادف .. وهم عاملون على تنقية اللغة مما خالطها من الاجماش والادران، وما أصابها من الضعف فى عصر الانحطاط.. واذا تدبرت لغة الكتّاب والمنشئين فى أول هذه النهضة ، وقابلتها بلغة كتّابنا اليوم رأيت الفرق كبيرا ، وتوقعت أن تعود الى أسمى ما بلغته من درجات الكمال فى عصر زهوها وشبابها ..

على اننا لا نظنهم مع ذلك قادرين على تنقيتها مما داخلها من الألفاظ والتراكيب الأعجمية ، أو مما تولد فيها من الألفاظ العربية الجديدة على ما اقتضاه التمدن الحديث من العادات الجديدة والآداب الجديدة والعلوم الجديدة . وقد دثر من اللغة كثير من الاصطلاحات القديمة ، وقام مقامها مصطلحات جديدة .. شأن الكائنات الحية الخاضعة لناموس الارتقاء (١)

---

(١) اذا وازنا بين بعض العلوم القديمة التى عرفها اليونان والعرب وبعض العلوم الحديثة ، نجد انها اتسعت اتساعا كبيرا ، ونجد أن علماء النهضة الحديثة من الاوربيين كان عليهم أن يجدوا الالاف من المصطلحات الجديدة ، ليواجهوا بها تقدم العلوم واشعاعها ، وضم هذه المصطلحات الى لغاتهم

وقد دخل من هذه المصطلحات ما دخل فى اللغة العامة ، وبقى منها الكثير الذى احتفظت به اللغة العلمية

خبا نجم المدنية العربية ، ووقفت اللغة عن متابعة التقدم ، خلال بضعة قرون • وذلك لاستيلاء المستعمرين على البلاد العربية ، مما جعلها تتخلف عن ركب النهضة الاوربية التى كانت تسير سريعا الى الامام

وبدأت تباشير النهضة العلمية الحديثة فى البلاد العربية من الاقليم المصرى فالاقليم السورى ولبنان ، ثم امتدت النهضة الى سائر الاقطار العربية

فقد تنبه الناس فى الاقليم المصرى برجحان العلوم الحديثة ، وبالقوة المادية التى حصلت عليها شعوب أوربة من معرفتها بهذه العلوم ، وذلك بعد أن اختلط نفر منهم بالاوربيين وبخاصة بعد أن اتصلوا بالعلماء الذين وفدوا مع حملة

←

فالتغيير الذى أصـاب اللغة العربية فى النهضة الأخيرة ، قد أصـاب

نابليون على مصر • أسس هؤلاء العلماء فى مصر مجمعا علميا ، ومدرستين ، وجريدتين فرنسيتين ، ودار كتب ، ومراصد جوية ، ومعامل كيمـاوية ، ومسرحا للتمثيل • وأتوا بمطبعة عربية كانت هى أولى المطابع فى مصر • ودرس هؤلاء العلماء نبات مصر وحيوانها ، وطبقات الارض فيها ، وجغرافيتها وآثارها ، ومياهها • وأسسوا مصانع للورق والنسيج وغيرها

ولم يكد يمضى وقت حتى أرسلت البعثات العلمية فى شتى العلوم ، وفتحت مدارس للعلوم العسكرية ، والطب ، والطب البيطرى ، والهندسة ، والزراعة والفنون والصناعات ، والالسن والترجمة ، وللادارة الملكية والحسـابات • وظهرت أول جريدة عربية وهى الوقائع المصرية

وكان التدريس فى هذه المدارس بالعربية على أيدى من عاد من البعثـات من أوربة ، وكذلك كانت المحاضرات التى يلقيها الاجانب تترجم وتلقى بالعربية وكانت العربية فى مصر هى اللغة الرسمية ولغة التدريس وذلك بخـلاف ما كانت عليه الحال فى البلاد العربية الاخرى حيث كان التدريس بالتركيـة واللغة الرسمية هى التركية أيضا

وكان النقلة والمصححون والمؤلفـون فى مصر رواد ابتـكار المصطلحات العلمية الحديثة ، وكانوا يرجعون فى تحرى المصطلحات العربية الى الـكتب العلمية العربية القديمة ، يستخرجون منها الصالح ، واستطاعوا أن ينتفعـوا بجملة منها فى مختلف العلوم • ولعل من هذه المصطلحات ما أخذ العلمـاء فى عصرنا الحاضر فى تعديله حتى يلائم تقدم العلوم أو ذوق العصر ، ولكنهم اقتبسوا الكثير من مصطلحات رواد النهضة الحديثة

أما فى سوريا ولبنان فقد انشأت الجمعية الخيرية الاسلامية فى دمشق وفى غيرها من مدن الاقليم السورى فى اواخر القرن الماضى مدارس ، وكذلك انشأت الارساليات الدينية فى بيروت ولبنان مدارس فى القرن الماضى • وكانت كل هذه المدارس تعنى بتدريس اللغة العربية ، وذلك على العـكس من مدارس الحكومة العثمانية التى كانت تعلم التركية • وكان التدريس فى الجامعـة الامريكية فى بيروت باللغة العربية ، وظهر فيها ثلاثة من العلماء الاجـانب ، درسوا العربية واتقنوها • وكان أشهر الثلاثة الدكتور كرنيليوس فنديك ، الذى درس العربية على المعلم بطرس البستانى ، والشيخ ناصف اليـازجى ، والشيخ يوسف الاسير • وأخذ العلماء الثلاثة فى النصف الثانى من القـرن الماضى ، فى نقل الكتب العلمية الى العربية • وقد استعانوا بالمصطلحات العلمية التى كانت قد استقرت فى الكتب المصرية ، وأخذوا فى مراجعتها على الكتب العربية القديمة . فجاء عملهم فى ذلك الوقت مدعما لعمل العلماء المصريين ، ومتمما له

ولم يستمر التعليم بالعربية طويلا فى الجامعة الامريكية فى بيروت ، وحلت الانجليزية فى التعليم محل العربية • وظل التعليم العالى فى سوريا ولبنـان

←

ألفاظها وتراكيبها .. وبعضه دخلها من اللغات الاجنبية ، والبعض الآخر تولد فيها بالتنوع والتفرع .. وللاحاطة بالموضوع نقسم الكلام فيه الى قسمين : نبحث فى القسم الأول عن الدخيل ، وفى القسم الثانى عن المولد

١ ــ الدخيل

يقسم الدخيل فى اللغة العربية فى أثناء هذه النهضة الى أربعة أقسام : (ا) الألفاظ الادارية (ب) الألفاظ التجارية (جـ) الألفاظ العلمية (د) التراكيب الاجنبية

١ ــ الالفاظ الادارية الدخيلة

أكثر هذه الألفاظ من مصطلحات الدولة العلية ، وأكثرها تركى ، وفارسى ، وقد ذكرنا أمثلة منها فى كلامنا عما دخل اللغة فى عصر التدهور .. وبعض تلك الألفاظ أخذ من اللغات الافرنجية ، وخاصة اللغتين الايطالية والفرنسية ، وهى :

١ ــ الالفاظ الادارية التركية	لفظها الاصلى	معناها
سنجق	سنجاق	راية
طابور	طابور	كتيبة
بلك	بلوك	سرب
الاى	آلاى	فرقة
اوردى	اوردو	جيش
جفلتك	چفلتك	مزرعة
اورنيك	اورنك	نموذج
اورطة	اوردى	جيش

ويلحق بالألفاظ التركية كل ما تركب تركيبا تركيا ، ولو كان عربيا أو

باللغات الاجنبية حتى انشئت كلية الطب بدمشق سنة ١٩١٩ فقامت بتدريس الطب بالعربية • وأخذت تحتل فى خدمة العربية المكان الذى شغر باختفاء العربية من كلية طب القصر العينى والجامعة الامريكية ببيروت

فارسيا . والغالب أن يكون ذلك التركيب مع «جى» للنسبة أو «باش» رأس كقولهم : مكتوبجى ، ومخزنجى ، واجزاجى ، وتمرجى ، وهـذه مركبة من تيمار بالفـارسـية (سياسـة المرضى) وجى . وباشكاتب ، وباشمهندس (مهندس اسم فاعل من لفظ فارسى الأصل « اندازه » معناه التقدير) ، وحكيمباشي . وقد يركب من الاثنين معا مثل مخزنجى باشى ، ومكتوبجى باشى ، وقس عليه ..

٢ ــ الالفاظ الادارية الفارسية	لفظها الاصلى	معناها
ياور	ياور	معاون
تمغة	تمغا	طوابع رسمية
بندر	بندر	مرفأ
باره	پاره	قطعة
سوارى	سواره	فارس
سراى	سراى	بيت

ويلحق بالألفاظ الادارية الفارسية ما يركب من الألفاظ مع « دار » صاحب أو «خانة» بيت فى آخر الكلمة أو « سر » رأس فى أولها كقولهم : حكمدار ، وبيرقدار ، ودفتردار ، وكتبخانة ، وخستة خانة ، وأجزاخانة ، وسردار ، وسر عسكر ، وسر تشريفاتى ، وقس على ذلك . وقد تقدم ذكر بعضها فى كلامنا عن عصر التدهور

٣ ــ الالفاظ الادارية الفرنسية	لفظها الاصلى	معناها
قومندان	Commandant	صاحب الأمر
جنرال	Général	قائد
قنصل	Consul	وكيل
بوليس	Police	ضابطة
سكرتير	Secrétaire	كاتم السر
برلمان	Parlement	مجلس الأعيان
قومسير	Commissaire	مندوب

٤ ـ الالفاظ الادارية الايطالية	لفظها الاصلى	معناها
بوسطة	Posta	البريد
يونيفورما	Uniforma	بدلة رسمية
ورديان	Guardiano	حارس
اسكله	Scala	سلم
ديكريتو	Decreto	أمر عال
باطنطة	Patenta	رخصة

٥ ـ وهناك ألفاظ ادارية مقتبسة من لغات أخرى ، كلفظ « الغرش » فانه معرب Groschen بالالمانيـة و « امبراطور » من Emperator فى اللاتينية وغيرها

ب ـ الالفاظ التجارية الدخيلة

أكثر هذه الاصطلاحات معربة عن الايطالية والفرنسية ، لأن الايطاليين أو أهل البندقية من أقدم تجار أوربا اختلاطا بالمشارقة فى القرون الأخيرة.. واليك أمثلة من الاصطلاحات الايطالية :

ا ـ الالفاظ التجارية الايطالية	لفظها الاصلى	معناها
كمبيو	Cambio	صرف
كمبيالة	Cambiale	حوالة
فاتورة	Fattura	كشف
سيكورتا	Sicurtà	تأمين
قومبانية	Compagna	شركة
اسبتالية	Ospitale	مستشفى
بروتستو	Proteste	اقامة الحجة
بورصة	Borsa	تجارة
ديبلوما	Diploma	شهادة
اجيو	Agio	. . . . .

٢ ــ الالفاظ التجارية الفرنسية	لفظها الاصلى	معناها
بنك	Banc	مقعد ثم المصرف
قومسيون	Commission	لجنة
كوبون	Coupon	القطع

وهناك ألفاظ متفرقة من لغات أخرى : كالكمرك مثلا ، فانه تعريب « كومركى » باليونانية ، وكذلك ناولون .. وشك مأخوذة من صك الفارسية أو أصلها صك بالعربية ، وطاقم بالتركية ، ودروباك فى الانجليزية ، وقس على ذلك ..

ومثل هذا كثير فى اصطلاحات نظارات الحكومة ومصالحها ، وخاصة فى السكة الحديدية ، والتلغراف ، والحربية .. واصطلاحات التجار ، وأصحاب الحوانيت ، والصناع ، وغيرهم . وهى تعد بالمئات .. وقد أغفلناها لشهرتها ، ولأن الكتّاب يعدونها من قبيل الألفاظ العامية ، فلا دخل لها فى بحثنا

ج ــ الالفاظ العلمية الدخيلة

الألفاظ العلمية التى دخلت اللغة العربية فى هذه النهضة كثيرة جدا ، ومعظمها مقتبس من الفرنسية ، والايطالية ، والانجليزية ، لأن أكثر العلوم المترجمة الى لساننا منقولة عنها .. على ان المصطلحات العلمية متشابهة فى لغات الافرنج ، لأن مصدرها عندهم اما اللاتينية ، أو اليونانية . فلا غرو اذا أخذناها بلفظها كما أخذها الانجليز أو الفرنسيون أو غيرهم ، وعددناها من قبيل الألفاظ الوضعية بلفظها ومعناها . ويدخل فى ذلك أسماء العلوم الجديدة : كالجيولوجيا ، والمترولوجيا ، والفيسيولوجيا ، والترابيوتيا ، والفرينولوجيا ، والهيستولوجيا ، والهدروستاتيك ، والميكانيكيات ، وغيرها . ويدخل فى ذلك أيضا أسماء الآلات الطبيعية أو الفلكية أو الكهربائية أو نحوها... مما لم يكن له مثيل عند العرب ، وسيأتى ذكرها

فالألفاظ الطبية الدخيلة كثيرة ، وفى جملتها أسماء كثير من الأمراض

أو العقاقير والأدوات ، وأكثره لم يكن له مثيل فى الطب العربى ، كالدسببسيا ، والبانكرياس ، والنفرالجيا ، والبلورا ، والسمباتوى ، والبلهارسيا ، والدفتيريا ، والهستيريا ، والانيميا ، والبروتوبلاسم ونحوها

ومن المصطلحات الكيمائيــة غير أسماء العقاقير الكثيرة ما يحدث من تراكيبها ،كالاكسيد ، والكلوريد ، واليودور ، والكربونات ، والفوسفا ، والاكسسموس ، والاندسموس ، والكربونيك ، والهدروكلوريك ، والهدروسيانيك ، والفوتوغراف ، والزنكوغراف ، وغيرها من الأسماء الصناعية المبنية على الكيمياء

ومن المصطلحات الطبيعيــة ، البارومتر ، والكهربائية (الكهرباء لفظ فارسى مركب من «كاه» التبن و«ربا» جاذب) ، والبطارية ، والكلفانومتر ، والشرمومتر ، والهيدرومتر ، والالكتروتيب ، والميكروسكوب ، والتلسكوب ، والسبكتروسكوب ، والستيريوسكوب ، والتلغراف ، والفونوغراف ، والتليفون ، والفوتوفون ، والميكروفون ، وغيرها

ولو أردنا الاتيان بكل المصطلحات العلميــة لما وسعها غير المجلدات ، فنكتفى بما تقدم على سبيل المثال (١)

---

(١) يذكر ابن سينا فى كتاب القانون بعض القواعد التى كان العلماء فى عصره يسلكونها فى تسمية الامراض ، قال : « قد تلحقها التسمية من وجوه : اما من الاعضاء الحاملة لها كذات الجنب ، وذات الرئة ، واما من أعراضها كالصرع ، واما من أسبابها كقولهم مرض سوداوى ، واما من التشبيه كقولهم داء الاسد وداء الفيل ، واما منسوبا الى أول من يذكر أنه عرض له كقولهم قرحة طيلانية منسوبة الى رجل يقال له طيلان ، واما منسوبا الى بلدة يكثر حدوثه فيها كقولهم القروح البلخية ، واما منسوبا الى من كان مشهورا بالانجاع فى معالجتها كالقرحة السيروتية ، واما من جواهرها وذواتها كالحمى والورم »

وقد أقر مجمع اللغة العربية ــ فى الاقليم المصرى ــ استخدام بعض الالفاظ الاعجمية • فقرار التعريب هو : « يجيز المجمع أن يستعمل بعض الألفاظ الاعجمية ــ عند الضرورة ــ على طريقة العرب فى تعريبهم » • وهذا القرار يجيز للعلماء أن يعربوا المصطلحات العلمية ، اذا لم يكن من المستطاع ايجاد ألفاظ عربية بطريق الحقيقة أو بطريق المجاز • وقيد « الضرورة » يشير الى ذلك

وفى المصطلحات العلمية والفنية التى أقرها مجمع اللغة العربية فى المواد المختلفة بعض مصطلحات أعجمية منها :

مصطلحات القانون التجارى : قمرة ـ جلفطة ـ شيك ـ شونة ـ بوليصة ـ بروتستو ـ كمبيالة ـ الطن ـ وحدة الوزن ـ الطنة (وحدة الحجم) ـ بيع كاف (مختصر من الفرنسية من الحروف الاولى للكلمات التى تدل على : مصروفات . تأمين . نول) ـ بيع فوب (مختصر من الانجليزية ، للمقطع الاول من الكلمتين : سلامة . وصول).

ومصطلحات الاقتصاد السياسى : بنك ـ البلشفية ـ برصة أو بورصة ـ كارتل ـ الفاشية ـ الغليارات ـ النازية ـ فسيولوجية العمل ـ الترست (أى توحد الشركات)

ومصطلحات علم الطبيعة : أميتر ـ كبل ـ ديناميكا ـ دنمو ـ دينامومتر ـ أبونيت ـ موتور ـ بندول ـ الكترون ـ فلور ـ الكهرباء الجلفانية والفلطية ـ الديناميكا ـ الميكانيكا ـ أوم ـ الاستاتيكا ـ بروتون ـ ترمومتر ـ ترموبيل الواط ـ الانود ـ بولومتر ـ كاثود ـ الكترود ـ ملغم

وقد اشتقوا من فلور : قابل للتفلور ومتفلور ، ومن فسفور : قابل للتفسفر ومتفسفر ومن ملغم : تملغم

ومصطلحات علم الكيمياء : أسيت ألدهيد ـ أستيل ـ ألومنيوم ـ أميد ـ أمين ـ أميل ـ آندريد ـ الارشيد ـ أرجون ـ بريوم ـ بانيل ـ بنزول ـ بنزين ـ برليوم ـ باء ـ بورون بروم ـ بوتيل ـ بوتريل ـ كد ميوم . مسزيوم كلسيوم ـ كربون ـ سريوم ـ كلور ـ كروم ـ كوبلت ـ أنزيم . هيدرات . كبريتور الادروجين ـ أنديوم ـ أريديوم ـ كريبتون ـ لثيوم ـ مغنيسيا . منجنيز ـ مثيل.

وقد اشتقوا من أسل :

يؤسل وتأسيل ، ومن أستير : أستر وتأستر ، ومن ادروجين : درجن ودرجنة ، ومن يود : يود ، وبلمرة ويبلمر ، وكلور وكلورة ، وغاز وتغويز

ومصطلحات علم الرياضة والهندسة :

الصك (وفضلوه عن الشيك) ـ الديناميكا ـ لوغاريتم (ولم يلاحظوا أنها من الخوارزمى) ـ الميكانيكا

أما قاموس المصطلحات الرياضية (رياضة بحتة ـ رياضة تطبيقية ـ رياضة تجارية ، انجليزى عربى ـ تأليف حسن ذهنى على ومراجعة دكتور نجيب غالى باخوم ، فقد استخدم بعض مصطلحات أعجمية لم تذكر فى مصطلحات مجمع اللغة العربية منها :

بلى ـ جرام ـ الحصان الميكانيكى كمبيو دائرى . ومنها ما يخالف المجمع مثل الوطية (المجمع . واط) وفضلها عن المصطلح : وحدة كهربائية . ومنها مصطلحات أعجمية ، ولم يقبل مصطلح المجمع ، منها : الكينمانيكا (المجمع : علم الحركة المجردة) وعلم الميكانيكا
(المجمع : علم الآلات)

ومصطلحات فى الهندسة الميكانيكية :

الديناميكا ـ الانتربيا ـ زنبلك (والجمع . زنابلك)

ومصطلحات الجيولوجيا : وقد عربها المجمع : علم الارض ، ولم يستخدمها فى العنوان.

←

ومصطلحات فى الطب الباطنى :

أدرينالين ـ باسليق ـ كوكسيديا ـ سينورية ـ كلشين ـ بول فرفيرينى ، وهيمو جلوبينى نوبى ، وأقصليسى ، وكرياتينى ـ كورينبكتريم دفتيرى ـ ـ كربتوكوكوزيه ـ كربتوككس ـ الدبابيط ـ العدوى باللدراكنكيولوس مدينِنسس ـ أنزيم ـ ايبنفرين ـ هيماتين ـ هيموكروماتية ـ هيموجلوبين ـ هرمودندروم بدروسوى ـ لووية ـ ميركيروكروم ـ ميزانتوين ـ نيكاتور أمريكانوس ـ ابسثوركس فيلينيس ـ بنتا ـ بوليب ـ بيورات أوبولات ـ حمى أوروية ـ اكسورية ـ بنسلين

وقد استحسن المجمع بعض مصطلحات أعجمية وفضلها عن المعربة منها : أنيمية (بدل فقر الدم) ، مرض كوشنج (بدل الاستقعادية النخاعية) دراكنتية (بدل مرض العرق المدينى ، كما وردت فى ابن سينا) ، اكثيما (بدل البشرية القرحة) ، زدنا (بدل الحلأ المنطقى) ، هيرودينيا (بدل العقليات) ، نوراستينيا (بدل الوهن العصبى) ، بارانويا (بدل عناد) برليس (بدل الصماغ) ، فليبوتوس (بدل ذبابة الرمل) بيلوغرافى (بدل تصوير الحويض) ، مرض التريبولوزية أو آلكرنيو ككوزيه (بدل الفطرية الخفية) ، تريبونيما بالليدوم (بدل اللولية الباهتة) ، تريكينا سبيراكس (بدل الشعرية الحلزونية) ، فيرسيو كويسرى (بدل شوكة الهيضة) ، فيشيافابا (بدل الفول السام)

ومصطلحات فى علم الامراض ومتفرقاتها :

أنورسما ـ متابوليسم الكلسيوم ـ فيفال ـ خلوردز ـ فولنج ـ أوديما ـ بنقراس ـ بلازما ـ بلورة ـ أنورسماكيسية ـ أسقربوط

وهناك بعض مصطلحات أعجمية فضلوها عن المعربة : أنيمية (بدل فقر الدم) ، أورطى (بدل الوتين) وعنغرينا الفم (بدل أكلة الفم) ، نكروز (بدل النخر) تنكرز جبنى (بدل نخرجبنى) ، سروز (بدل تليف كبدى) ، بروتوبلزم (بدل جبلة) ، لوكيمية طحالية نقيبة (بدل ضخم الطحال أو الطحل)

واشتقوا من نكروز أو تنكرز : تنكرز ، ومتنكرز ، ومنكرز

ومصطلحات علم الرمد :

باسيلات ـ بوريك ـ سنتراد ـ عين السيكلوب ـ ديابيطى ـ الاشكال الاكلينيكية ـ أوغلوكوما ـ هستيرى ـ استجمعيه معوجة ـ سمبثاوى ـ تكسينى ـ زنارى

وفضلوا بعض المصطلحات الاعجمية عن المعربة منها : أتوكلاف (بدل المعقام الموحد) ، كيموزس (بدل وردينج ، كما ذكرها ابن سيناء)

ومصطلحات علم البكتريا :

أجاراجار ـ أنتيتكسين ـ بكتريا ـ صابغات انيلينيه قاعدية ـ زرقة الميثلين ـ فوكسين ـ بنفسجى الجنطيانا ـ تكسين . وقد فضلوا باسيل على عصية

ومصطلحات علم الصحة :

عسر كربوناتى ـ رائحة كلورونية ـ اكسجين ذائب ـ تتراثات ـ تتريتات

ـ مقياس السليكا ـ الكوبلت المعاير
وأسماء فى النبات :
جرجير ـ ضغبوس ـ غرانق ـ قلقاس ـ قنب ـ قاقلى ـ كركم ـ كرويا
مصطلحات فى علم الحيوان :
ببغاء ـ بلم ـ بنى ـ بهار ـ دلفين ـ حريش (نوع من الحيات) ـ زرافة ـ زنديل ـ سمندل
أما فى دليل مصطلحات علم الحيوان للدكتور عطا الله خلف الدوينى والدكتور حلمى ميخائيل بشاى ، فقد وردت مصطلحات أعجمية منها :
لاسيلومى ـ لاكرائيات ـ اكثينوتروكا ـ ألسيونات ـ ألستس ـ دنتكس ـ اللولوبوفورا ـ أميبة ـ أمفيوكسوس ـ أميلاز البنكرياس ـ أنودونتا ـ أنوفيليس ـ أنتيجين ـ أفيس ـ أبتريكس ـ اسيديا ـ استروبكتين ـ أستاكوزا ـ بالانوجلوسوس ـ بيليسيانين ـ بلاستبور ـ بلاتا ـ بوتوس ـ كازينوجين ـ سستودا ـ كيلونيا ـ كروماتيد ـ كموس ـ سيلوم ـ كوبيبودا ـ كيوتين ـ دنتين ـ دياستاز ـ ايكينوبلوتيوس ـ أندوستيل ـ فبرينوجين ـ جلاكتسوز ـ جاميتوسيت ـ جليكوجين ـ كيسيثين ـ ليباز ـ مالبيجى ـ مالقاز ـ ميلانين ـ ميزنكيم ـ نوبليوس ـ أوؤكنيت ـ أسيين ـ ببسين ـ رينين ـ شيزونت ـ سيكرتين ـ ثروجبين ـ تريبسينوجين ـ تيفلوسول ـ زواريثرين ـ زوميلانين
ومصطلحات فى علوم الاحياء :
أسيديوم ـ اكسجين ـ أغاريقون ـ اليرون ـ النتويس ـ أميداز ـ أميد ـ أميبة ـ انيلوفيل أنهالونين ـ أريوتين ـ أنثوسيانين ـ عربينوز ـ أرشيجونة ـ أرشيلاميديات
واستحسنوا استخدام المصطلحات الاعجمية بدل المعربة فى مثل الانثريدة (بدل مئبرية) ، أنثيروزويد (بدل حيي مئبرى ، أنخوسين (بدل كحلائين)
ومصطلحات الرسم والتصوير :
كدميومى ـ أزرق كوبلتى ـ لك قرمزى ـ كمبوجى ـ برنيقى ـ الهدب
ومصطلحات الفلسفة :
الديناميكية ـ الابستمولوجيا ـ الغنوصية ـ ميكانيكية ـ موناد ـ زفانا ـ برجماتية
ومصطلحات الموسيقى :
الجنك ـ السكسية
هذا ومن الملاحظ أن المجمع أمكنه فى بعض العلوم ، أن يتفادى المصطلحات الاعجمية أو يقتصد فى استخدامها
فمن العلوم التى خلت من المصطلحات الاعجمية :
مقدمة القانون والقانون المدنى ، قانون المرافعات المدنية والتجارية ، القانون الدولى العام (فيما عدا قنصل ، بروتوكول) ، علم الرياضة والهندسة (فيما عدا ديناميكا) ، لوغارتم ، ميكانيكا ، الهندسة الميكانيكية (فيما عدا ديناميكا ، انتربيا ، زنبلك) ، الجولوجيا (فما عدا

←

د ـ التراكيب الاعجمية

معلوم ان أكثر المصادر التى يرجع اليها كتاب اللغة العربيــة فى العلم الطبيعى وفروعه مكتوبة باللغــات الافرنجية ، وأكثر الكتّاب عنــدنا يحسنون لسانا أو غير لسان من اللغات الأعجمية ، وأكثر ما يقرأونه من الكتب أو الجرائد فى اللغات الافرنجية .. فضلا عن شيوع تلك اللغات بين العامة ، فحيث ســار الكاتب فى المدن الكبرى فانه يسمع العبــارات الافرنجية . فلا غرو اذا داخل عبارته تركيب افرنجى أو تعبير أجنبى . ولا يخفى ان لكل لغة أسلوبا فى التعبير لاينطبق بكل تفاصيله على أســاليب اللغات الأخرى . واللغات تتقارب وتتباعد فى تلك الأساليب بتقارب أصول الشعوب وتباعدها ، والعرب بعيدون فى أصولهم عن الافرنج .. فأساليب التعبــير فى لغاتهم متباعدة ومتباينــة ، والغالب أن تمتاز كل لغة ببعض أساليبها على اللغات الأخرى وتقصر فى البعض الآخر .. يعلم ذلك الذين يعانون الترجمة من لسان الى لسان ، فاقتباس العرب بعض أساليب الافرنج فى كتابتهم قد يكون من جملة مكملاتها ، واذا عده بعض اللغويين فسادا فى اللغة ، فلأن بعض كتابنا يبالغون فى ذلك الاقتباس .. فيتناولون عبارات افرنجية ، فى اللغة العربية ما هو أجمل منها وأمتن ..

ومن أمثلة ما حدث فى اللغة العربية من التراكيب الافرنجية ، وقد جرت على أقلام كثيرين قولهم :

(١) فلان كلاهوتى يقدر أن يؤثر كثيرا
(٢) رأيت صديقى فلان الذى أعطانى الكتاب (أى فأعطانى)
(٣) رغما عن مساعيه الحميدة لم ينجح فى عمله
(٤) مستمدا العناية من الله أقف بينكم خطيبا
(٥) لعب فلان دورا مهما فى هذه المسألة

جولوجيا) ، فن الطباعة ، الرســم والتصــوير (فيمــا عــدا كدميومى ، كوبلتى ، لك ، كمبوجى ، برنيقى ، التاريخ ، الفلسفة (فيمــا عدا ســبعة ألفاظ ، ذكرناها سابقا ، والموسيقى (فيما عدا جنك ـ سكسية) الطب والتشريح (فيما عدا طوبوغرافيا)

(٦) المعاهدة المصادق عليها من الدولة الفلانية
(٧) ان الأمر الفلانى مضر بقدر وشرف ومالية فلان
(٨) يوجد فى بلاد الحجاز عدة جبال

ونحو ذلك من التراكيب التى ترى الصيغة الافرنجية ظاهرة فيها .. على ان أهل العناية فى الانشاء العربى قلّما يستخدمونها ، وان كنا لانرى بأسا من استخدام بعضها فى الأحوال التى تضيق التراكيب العربية فيها

٢ ـ المولد

ونريد بالمولد ألفاظا عربية تنوعت دلالتها للتعبير عما حدث من المعانى التى اقتضاها التمدن الحديث فى الادارة أو السياسة أو العلم أو غير ذلك ، وهى كثيرة نذكر أمثلة منها (١)

١ ـ الالفاظ الادارية المولدة

وهى ما استخدمته الحكومة من الألفاظ العربية لمعان حدثت فى الدولة أو تنوعت على مقتضى السياسة أو الادارة ، وهاك أمثلة منها :

المالية	أموال غير مقررة	الايرادات	مكافأة
الداخلية	المأمور	التكليف	قلم تحريرات
الخارجية	رئيس قلم	محافظة	تشريفاتى
الاشغال العموميه	مفتش	مركز	خدمة سائرة
المعية	معاون	عوائد	تعويضات
الخاصة	متصرف	رسوم	معاشات
الدائرة السنية	مصلحة	مصاريف نثرية	مصلحة الرى والترع

(١) بدأ العلماء منذ القرن الماضى فى وضع مصطلحات فى شؤون الحضارة والعمران ، وقد شعروا بحاجة ماسة الى ذلك حين أخذوا فى وضع المعاجم ودوائر المعارف ونقل الكتب الاجنبية الى العربية . وقد ظهر منهم المعلم بطرس البستانى صاحب القاموس « محيط المحيط » ، وصاحب « دائرة المعارف » ، وسليمان البستانى مترجم « الالياذة » ، وابراهيم اليازجى صاحب ←

المدير	نظارة	مساحة التوالف	شورى القوانين
الناظر	ميزانية	علاوة	معاون أول وثانى الخ ..
كاتب أول وثانى الخ ..	السخرة	ملاحظ	النيابة
قواص	مستشار	رتبة أولى الخ	ناظر النفوس
مراقب	مساعد	متمايز	قضاء
أموال مقررة	مستخدم	تذكرة مرور	ناحية

كتب « لغة الجرائد » ، ومحمد سليم الجندى فى كتابه « اصلاح الفاسد من لغة الجرائد » ، ويعقوب صروف فى مقالاته فى مجلة « المقتطف » والياس بقطر واضع المعجم الفرنسى العربى ، ومحمد النخارى وله معجم فرنسى عربى

وينسب للابراهيم اليازجى وضعه لالفاظ مثل : الدراجة ، والمجلة ، والحساء ، والمقصف واللولب ، والحوذى ، والمأساة ، وليعقوب صروف: الغواصة ، والدبابة ، والرشاشة ، والنواة ، والكهرب

ولما اتسعت العلوم فى العصر الحاضر ، أصبح من الضرورى وضع مصطلحات جديدة لمواجهة هذا الاتساع فيما ظهر من معاجم ودوائر معارف، منها القاموس الفرنسى العربى للويس شيخو اليسوعى ، والقاموس الانجليزى العربى لانطون الياس ودائرة المعارف لفريد وجدى ، والدكتور يعقوب صروف وقد نوه بذلك فهد الجابرى (الاب انستاس الكرملى) فى مقال له بالمقتطف متوانه « الدكتور صروف والتجديد فى اللغة العربية » ، ومظهر سعيد ، والاب انستاس الكرملى ، وأحمد تيمور ، وأحمد زكى ، وسلامة موسى ، واسماعيل مظهر

ثم اتجه العلماء العرب فى هذا القرن الى وضع المؤلفات الخاصة فى مختلف العلوم فزادت المصطلحات زيادة كبيرة ، وعدلوا أو بدلوا عددا من المصطلحات التى كانت قد وضعت فى القرن الماضى

ومما يعطى صورة عن عدد المصطلحات الاساسية فى العلوم المختلفة ، أن المجلس الاعلى للعلوم شكل فى شهر أكتوبر من عام ١٩٥٩ ديوانا للتأليف والترجمة العلمية ، قوامه لجنة للنشر العلمى من أحد عشر عضوا من أعضاء المجلس ، وثمانين أستاذا من جامعات القاهرة وعين شمس والاسكندرية ودمشق ، ذلك لدراسة قطاع العلوم الاساسية فى الكليات العملية . وقد استطاع هؤلاء الاساتذة بعد ستة أشهر من العمل ترجمة مائة ألف مصطلح علمى الى العربية

٢ ــ الاصطلاحات الجندية ومنها(١)

المشير	أركان حرب	بدل سكن	النسافة
الفريق	تجهيزات حربية	الاستعراض	الطرادة
اللواء	ضابط	الحربية	الغواصة
قائمقام	نفر	المهمات	الدارعة
خفر السواحل	تعيينات	الهدنة	البارجة
القرعة العسكرية	كساوى	البلاغ النهائى	غرامة الحرب
	بدل سفرية		

٣ ــ الاصطلاحات القضائية ومنها(٢)

الحقانية	محكمة الجزاء	النيابة	مدعى عمومى
العدلية	المجالس الأهلية	النقض والابرام	مميز

(١) ظهر التأليف بالعربية فى العلوم العسكرية ، فى مصر فى أول النهضة العلمية الحديثة . وعلى أثر انتهاء الحرب العالمية الاولى تألفت فى دمشق لجنة من العلماء لوضع مصطلحات فى العلوم والفنون العسكرية ، يستعملها الجيش السورى العربى . وتولى العالم العراقى عبد المسيح وزير اتمام ما شرعت به اللجنة فى دمشق فأتمه وتوسع فيه ونشره فى معجم المصطلحات العسكرية ، ولا تزال ألفاظ هذا المعجم مستعملة فى جيش العراق وفى مدارسه العسكرية . وفى سنة ١٩٥١ عهدت وزارة الدفاع السورية الى لجنة من أعضاء المجمع العلمى العربى بدمشق فى تصحيح ألفاظ معجم فرنسى عربى وضعه لفيف من ضباط الجيش السورى . وفى سنة ١٩٥٦ كلفت من ادارة تدريب الجيش بالاقليم المصرى على الاشراف بوضع قاموس للمصطلحات العسكرية فى أربع لغات الانجليزية والفرنسية والالمانية والعربية وقد ظهر وهو يضم ثلاثين ألف مصطلح . وفى سنة ١٩٥٨ قامت ادارة الجيش فى الاقليم المصرى بعمل جليل منظم ــ وقد شاركت فيه ــ لوضع قاموس بالانجليزية والعربية فى المصطلحات الحربية فى جميع فروعها

وقد عمل رجال الاقليم المصرى الى رفع المصطلحات التركية من الجيش واحلال المصطلحات العربية مكانها ، وهى خطوة الى توحيد المصطلحات العسكرية بين الجيوش العربية

(٢) أما المصطلحات القضائية والقانونية والاقتصاد السياسى فقد وصلت فى العصر الحاضر الى حد يكاد يكون كاملا . وان نظرة نلقيها على مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التى أقرها مجمع اللغة العربية ، تبين لنا ما

←

محضر المجالس المختلطة معارضة
المحكمة الابتدائية مجالس الاستئناف الحكم العرفى

بذلته لجان القانون المختلفة من جهد فى أخذ المصطلحات القانونية المولدة فى العصر الاموى والعباسى ، واضافة مصطلحات مولدة جديدة مع مقابلتها بالفرنسية . وجاءت المصطلحات خالية من الالفاظ الاعجمية فى مصطلحات : مقدمة القانون والقانون المدنى ، وقانون المرافعات المدنية والتجارية ، والقانون الدولى العام ، والقانون التجارى ، والاقتصاد السياسى ، ومقابلتها بالفرنسية والانجليزية . ومن أمثلة المصطلحات فى فروع القانون المختلفة : من مصطلحات مقدمة القانون والقانون المدنى : الالتصاق ، الاكتساب ، محرر رسمى ، مفهوم المخالفة ، المثليات ، التوقيع على بياض ، الاهلية ، حوالة الحق ، شرط حظر التصرف المؤبد ، غلق الرهن ، المدونة المدنية ، المشتاع ، الفصل التعسفى ، ورقة الضد ، الجنائى يعلق المدنى ، كاشفة ، التخصيص للزينة ، المسلمات الواقعية والطبيعية ، المداينات ، الحقوق العينية التبعية ، المكنة ، خطأ مضرور ، الفضالة ، ألعاب اليانصيب ، خيارات الحائز ، قسمة المهايأة ، العراض ، الحيازة المعيبة ، المسخر ، اجازة التعهد ، القيود الاتفاقية ، الارتفاقات البنيانية ، الصورية النسبية بالتستر ، الاستيعاد للغير ، العامل بالمقطوعية ، بيع المذاق ، المطلات المنحرفة ومن مصطلحات قانون المرافعات المدنية والتجارية :

دعوى استعجال الخيار ، ميعاد المسافة ، دفع شكلى ، ديباجة الحكم ، انذار حائز العقار ، سند تنفيذى

ومن مصطلحات القانون الدولى العام :

وفاق معلم ، الحصر السلمى ، دولتعاهدية ، دولة مركبة ، دول الاتحاد الشخصى ، براءة الاعتماد ، وفاق الاشراف ، معاهدة اقامة ، معاهدة تشريعية ، معاهدة مفتوحة

ومن مصطلحات القانون التجارى :

التصادم الغامض ، قبول المسحوب عليه ، استئجار التلميم ، (التعييش) ، تقدمة ائتمان ، المجهز المفوض ، خبير الرص ، تأمين التوى ، تأمين راتب بقيا مؤقت ، تأمين البلى ، تأمين عمرى على رأس ، سلفة على الوثيقة ، التفالس بالتدليس ، جرائر الربان ، تحويل المحفظة ، التأمين الاقترانى ، طرود ، عمولة المكشوف ، الصلح مع التلوم ، زوال اليد ، خبير العواريات ، ناقلة الربان ، تظهير على بياض ، ادخار التثمير ، قانون الاستكثار ، بيع الوكس ، دليل العباب ، الوسع ، وثيقة التأمين العائم ، الكوثل ، قسط السفرتين ، جبر المقارم ، الراتب المؤقت الناجز ، ترحيل الرصيد ، شركات التأصيل « الرسملة » ، ميعاد السقالة ، منهاج التثنية ، المسافنة ، تصويرة

ومن مصطلحات الاقتصاد السياسى :

التجريد ، الاحراج بالاحتباس ، التمهين ، موازنة سعر الصرف ، أوراق

←

٤ ــ اصطلاحات سياسية(١)

مؤتمر	السفارة	المحافظون	مجلس الأعيان
معتمد	الاستعمار	الأحرار	مجلس العموم
مندوب	الاحتلال	الاشتراكيون	المسئولية
السياسة	الدوائرالسياسية	مجلس الشيوخ	

مصرفية ، بطاقات الجرايات ، غرف المقاصة ، شرط الوفاء بضاعة ، مستعمرات الاستيطان ، الاندماج ، صفقة ضدية ، سعر الصرف ، قسيمة التغطية ، الزراعة الكثيفة ، نقود ورقية حكومية ، الزراعة الخفيفة ، المد للبائع ، طلب السلع المتناوبة ، الاغراق ، الاقتصاد الموجه ، القطع (الخصم) ، الدولة النقابية ، تدويل ، تقاضي ما تحتمله وحدة النقل ، النحات (التأكل) ، التكامل ، تكتيل الصناعات ، الحشد ، صفقة باتة ، نظام المعدن الفرد (المعدنية الفردية) ، الارقام القياسية التفاضلية ، الاكتفاء القومى (الاستغناء القومى) ، السند ، فتح الاعتماد ، العامل الحدى ، البديلة ، نوبة الفتور ، الغلة الحدية ، المد المشترى ، نظام الاحلاس ، توحيد النمط ، القراطيس المالية (القيم المنقولة) ، البيع على المكشوف ، الرجعة (سند التخزين) ، عيار النقود

ونذكر هنا الكتاب الذى نشره فى دمشق سنة ١٩٥٢ الدكتور عدنان الخطيب وكتب مقدمته الشيخ على الطنطاوى وعنوانه « لغة القانون فى الدول العربية » . وكذلك قاموس المصطلحات القانونية والاقتصادية والتجارية فرنسي ــ عربي لعبد الخالق عزت وقدم له الدكتور حسين فهمى ونشر فى الاسكندرية سنة ١٩٥٥

ومما يستوقف النظر عدم اتفاق الاقطار العربية على بعض المصطلحات القانونية الاساسية : « فالدستور » فى مصر ولبنان وسورية يسمى القانون الاساسى فى العراق وفى الاردن ، و « مجلس الشيوخ » فى مصر يقابله « مجلس الاعيان » فى العراق ، و « المرسوم » فى مصر ولبنان وسورية هو « الارادة الملكية » فى العراق ، و « محكمة التمييز » فى سورية ولبنان هى « محكمة النقض والابرام » فى مصر ، و « قانون المرافعات المدنية » فى مصر هو « قانون أصول المحاكمات الحقوقية » فى سورية ، و « مرسوم بقانون » فى مصر هو «مرسوم تشريعى» فى سورية ، و « اللائحة » فى مصر هى « المرسوم » فى سورية و « النظام » فى العراق . ولعل الخطوة التى اتخذها مجمع اللغة العربية فى الاقليم المصرى ، باقراره المصطلحات القانونية المختلفة ، مما يساعد فى الاتجاه الى توحيد المصطلحات بين الاقطار العربية

(١) نشر الدكتور مأمون الحموى بحثا فى المصطلحات الدبلوماسية فى دمشق سنة ١٩٤٩ ، وهو يشتمل على نحو أربعمائة مصطلح . هذا وقد أعد للطبع فى القاهرة كتابا شاملا للمصطلحات الدبلوماسية ، وقد وفق فى

تعريبه للمصطلحات

واستخدام اللغة فى نواحى النشاط السياسى المختلفة ، من شأنه ابتكار مصطلحات واصطناع تعبيرات يحتاجها النظام السياسى اما تثبيتا لحكمه واما دعاية لنفسه ، واما فى تعامله مع نظام آخر يخالفه . وتحتاج لغة السياسة الى مصطلحات جديدة فى لغة الانتخابات ، ولغة المراسيم ، ولغة خطب العرش ، واللغة التى يحتاجها القادة أيام الحرب أو السلم ، أو فى الثورات أو الانقلابات أو فى المعاهدات والمحالفات ، أو لمخاطبة الجماهير . وقد تقضى بعض هذه الاحداث على مصطلحات قديمة ، كما حدث بعد ثورة ١٩٥٢ فى الاقليم المصرى بعد الغاء الالقاب ، فحكمت بذلك على زوال مايتبع ذلك من مصطلحات وعبارات تشعر بالفوارق الطبقية ، واوجدت لقب « السيد »

ولقب « السيد » اصطلحت عليه العرب فى الجاهلية ، تطلقه على الملك أو رئيس القوم ، ثم أطلقه الناس على من برزت فيه صفة يقرها مجتمعه ، مثل : الشجاعة المفارطة ، أو الحلم البالغ ، أو احتمال أذى الناس ، أو الاغراق فى السخاء ، أو رجاحة العقل ، أو التفوق فى المال ، أو على المسن . واستعمله القرآن الكريم بمعنى الزوج ، أو بمعنى الرئيس والامام فى الخير . وفى الحديث : « السيد : الله » . وقد روى عن الرسول (صلعم) استعمال « السيد » فى بعض ما كانت تستعمله فيه العرب . وكان الصحابة يخاطبون الرسول أحيانا بقولهم : سيدنا ، ويشيرون اليه قائلين : سيدى . وقد أطلق هذا اللقب على بعض كبار الصحابة

وظهر فى الشعر العباسى استخدام « سيدتى » و « سيد » خطابا للمحبوب . وأطلق لقب « سيد » و « سيدة » على العلويين والطالبين وأطلق لقب «سيد» على الصوفى ، والولى ، والجليل من الفقهاء . وتستعمل « السيد » لقبا فى بعض البلاد الاسلامية التى لا تتكلم العربية . اما لقب « سيدى » فهو شائع فى البلاد العربية والاسلامية يطلق على الاولياء والاخيار . ويستخدم الان فى البلاد العربية لقب « سيدى » لاحترام الرؤساء أو يطلق على كبير السن والمقام ، وفى بعض البلاد العربية يطلق على رب الاسرة . ويستخدم فى بعض قرى مصر بمعنى الجد . وقد أطلق لقب « السيد » و « سيدى » على جماعة من غير المسلمين أشهرهم البطل المسيحى الاسبانى « رودريجو دياز » وذلك لمساعدته للمؤتمن صاحب سرقسطه . ويلاحظ أن لقب « السيد » كان يطلق فى الاندلس على المسلمين ومن الاندلس انتقلت الكلمة الى اللغات الاوربية

ولعل ما يقوم به الدكتور مأمون الحموى من نشر كتابه فى المصطلحات السياسية ، سيساعد على توحيد المصطلحات السياسية فى البلاد العربية . واننا نجد فروقا كثيرة فى المصطلحات السياسية بين البلاد العربية مثلا : يقال فى مصر سلك سياسى وفى سورية سلك دبلوماسى ، ومنهم من يقول اتحاد وآخر اتفاق وثالث تحالف لمعنى واحد ، ومنهم من يقول فيسا وآخر سمة وثالث تأشيرة ورابع تعليم ، ومنهم من يقول ميثاق وآخر صك وثالث شرعه

٥ ـ اصطلاحات الصحافة(١)

الصحافة	مراسل	بدل الاشتراك	الاعلانات
جريدة	مكاتب	المطبوعات الدورية	المنشورات
مجلة	محرر	وغير الدورية	الوصل

٦ ـ اصطلاحات فى الطبيعة(٢)

الثقل النوعى	السمعيات	التبلور	القوة
الزخم	الحل الكهربائى	جاذبية الالتصاق	السديم
التباعد عن المركز	التمغنط	والملاصقةوالشعرية	العدسة البلورية
الجاذبية	انكسار النور	التداخل	البؤرة
السطح المائل	تشرف النور	السرعة	شفاف
المفرغة	استقطاب النور	تكهرب	مظلم
القابلة	الموشور	المادة	منير

(١) ظهرت مصطلحات الصحافة بظهور الصحافة العربية فى القرن الماضى، وظهرت معها أيضا تعبيرات صحفية . وبذل أئمة الصحافة فى البلاد العربية جهدا مشكورا لتنقية مصطلحات الجرائد ولغتها من الاخطاء . وقد أشرنا الى بعض هذا فى صفحة ١١٦ هامش (١). وكان لانشاء معهد الصحافة ثم قسم الصحافة بكلية الاداب بجامعة القاهرة وما يتبع ذلك من مؤلفات فى مواد الصحافة المختلفة ، أثر واضح فى زيادة مصطلحات الصحافة

والملاحظ أن مصطلحات الصحافة فى الاقطار العربية تكاد تتفق عن غيرها من مصطلحات العلوم

(٢) كان القدماء على علم بشيء مما يخص علم الطبيعة «الفيزياء» مثل بعض بحوث الصوت والضوء والسائلات ، ولكنهم كانوا على جهل ببعض قوانينها الاسياسية ، ولم يعرفوا عن الكهرباء شيئا ،ولا عن الات الضوء الحديثة مثل المجهر والمرقب ، ولا عن آلات الكهرباء العديدة ، ولا عن آلات الجويات مثل مقاييس الحرارة والمطر والرياح والضغط الجوى . فعلم الطبيعة تقدم تقدما واضحا ، وبخاصة بعد عصر الكهرباء وتحطيم الذرة ، حتى لم يبق بين قديمه وحديثه الا صلة لا تكاد تذكر

وفى عصر النهضة العلمية الحديثة ، بدات مصر فى نقل كتب الطبيعة الى العربية ، وألف العلماء فيها كتبا بالعربية . وكان الدكتور براون الاستاذ بكلية طب القصر العينى ، وهو من الاجانب الذين أتقنوا العربية أول من

٧ ـ اصطلاحات فى الكيمياء(١)

حامض	كثافة	منقوع	متعادل
قاعدة	مرونة	صبغة	لفائف الحدة
تحليل	غاز	الجرم	السمات
الطيف الشمسى	جامد	الالفة الكيماوية	العبارات
عنصر	سائل	قلوى	يستحضر
الوزن الجوهرى	محلول	حامض	يحضّر
املاح	تحليل	كاشف	الجوهر الفرد
تركيب	البلبوس	الدقيقة	الذرة

ألف فى الطبيعة بالعربية . وألف الاستاذ محمد ندى ، وكان من أساتذة الكلية أيضا ، كتابا فى الطبيعة

ولما ظهرت حركة النقل والتأليف فى لبنان فى النصف الثانى من القرن الماضى ، ألف كرنيليوس فنديك بالعربية ، كتابا فى الطبيعة . وقامت الجامعة السورية بنصيبها فى مصطلحات الطبيعة ، واستطاع أساتذة الجامعة أن يؤلفوا كتبا فى علم الطبيعة وأن يلحقوا بكل كتاب مسردا للمصطلحات بالعربية والفرنسية . وفى كتاب محمد جميل الخانى فى علم الطبيعة ، مصطلحات كثيرة فى فروع هذا العلم . وقد أقر مجمع اللغة العربية مصطلحات علم الطبيعة ، وأتى بما يقابلها بالانجليزية ، مع شرح لكل مصطلح ومنها :

الزيغ ـ المركم ـ مكثاف السوائل ـ الابرة المعطلة ـ اللانقطية ـ المعمد ـ الاستحالة ـ محززة الحيود ـ تيار طردى ـ مشماسة ـ مرقب الشمس ـ شحنة بالتأثير ـ الصورة المنكوسة ـ اللامعكوسية ـ متكاثل ـ متساوى النفاذ ـ متماكن (جمعها : متماكنات) ـ مجهار ـ الاستقطاب ـ مخبرة ـ مقاومة مغيرة ـ المرحلة ـ الدوار ـ التشبع ـ فحم المعوجات ـ متزامن (أى متفق الزمن ، وجمعها : متزامنات) ـ زوج حرارى ـ فوق البنفسجى أو فنفسج ـ مقياس الواط ساعة

(١) يكاد علم الكيمياء اليوم يكون غير الكيمياء القديمة . فقد كانت الكيمياء قديما ، تكاد أن تكون قاصرة على طبخ العقاقير النباتية ، والبحث عن تحويل المعادن الى ذهب . وكان القدماء يعرفون بعض العناصر القليلة . وقد اتسع علم الكيمياء اليوم وتنوع الى كيمياء : معدنية ، وعضوية ، وتحليلية . وكشف العلماء عن عناصر كثيرة ، وعن مركبات عديدة تستخدم فى الطب والزراعة ، والصناعات المختلفة

بدأت النهضة العلمية الحديثة فى الكيمياء ، فى البلاد العربية ، أول

←

٨ ــ اصطلاحات طبية (١)

حويصلة	صمامات القلب	الزهرى	انسكاب
غشاء مخاطى	اللين	الصفير	تصلب

ما بدأت ، فى كلية الطب فى مصر • فقد ألف الدكتور براون ، وكان يتقن العربية ، كتبا فى الكيمياء بالعربية • وألف الاستاذ محمد ندى فى الكيمياء بالعربية

وفى النصف الثانى من القرن الماضى ، ظهرت النهضة العلمية الحديثة فى لبنان ، فألف كرنيليوس فنديك كتابا فى الكيمياء بالعربية

وقد شارك اساتذة جامعة دمشق بتأليف كتب فى الكيمياء ووضع مصطلحات عربية للكيمياء مع فهرس لها بالعربية والفرنسية • وللدكتور محمد صلاح الدين الكواكبى ، مؤلفات فى فروع الكيمياء المختلفة ، ودراسات فى المصطلحات الكيميائية نشرها مع ما يقابلها بالفرنسية

وقد أقر مجمع اللغة العربية مصطلحات علم الكيمياء ومنها : الصفر المطلق ــ طيف الامتصاص ــ صامد للحمض ــ المركبات اللاحلقية ــ موجه تكثيف ــ شائبة ــ امتزاز ــ شبزال (نوع من مواد تشبه الزلالات) ــ قلى ــ شيقلى ــ الحديد الالفى ــ حمقلى (صفة للمادة التى تعمل كحمض قلوى) ــ التربينات الثنائية ــ سحاحة ــ حفاز ــ صفق ــ نصل ــ متميع أو متسيل ــ سمط سكر العنب (أى جلوكوز) ــ اليؤكل (كل ما هو قابل لان يؤكل) ــ السيوبة ــ حامض النمل (الفورميك) ــ نمليل (فورميل) سكر الفاكهة (فركتوز) ــ متشاكل ــ الحلمأة (التحليل بالماء) ويحلمىء حلمأة ــ اماهة ــ هامد ــ خبث الحديد ــ الرجاجة ــ سكر الشعير (ملتوز) ــ الصبغة الجزيئية

(١) لاشك أن لليونان وللعرب فضلا على الطب قديما •• ولكن العلوم الطبية تقدمت تقدما محسوسا : من ذلك علم التشريح ، واستخدام الادوية الحديثة فى العلاج ، واكتشاف الميكروبات ومعرفة أنواعها وحياتها وتأثيرها فى جسم الانسان • فباعد هذا بين الطب الحديث والطب القديم • وخطت مصر فى النهضة العلمية الحديثة خطوة واسعة بتدريس الطب فى مدرستها باللغة العربية • نشأت مدرسة الطب سنة ١٨٢٦ فى أبى زعبل ، ثم نقلت الى القصر العينى سنة ١٨٣٧ • كانت هذه المدرسة أكبر مظهر من مظاهر النهضة العلمية الحديثة ، وأهم معهد نقلت فيه العلوم الطبية وعلوم الكيمياء والطبيعة الى اللغة العربية . وظلت المدرسة تدرس بالعربية حتى عهد الاحتلال الانجليزى ، حين جعل التدريس فيها بالانجليزية •• وقد أضر هذا بحركة نقل العلوم الى العربية ضررا كبيرا

كانت كتب كلوت بك مدير المدرسة ، أول ما نقل الى العربية فى الطب • ثم ظهر من اساتذة مدرسة الطب من المصريين من نقل كتب علوم الطب المختلفة الى العربية وألف بها منهم : محمد على البقلى الذى الف فى الجراحة ،

الخلايا الهوائية	تمدد	الطنين	التشخيص
الاختلاطات	تدرن	الأعراض	حؤول

ومحمد الشافعى فى الامراض الباطنية ، ومحمد الدرى فى الجراحة وفى الامراض الوبائية ، وسالم سالم فى الطب الباطنى

واشتهر محمد عمر التونسى بترجمة الكتب الطبية أو تصحيحها ، وكان عالما بمصطلحات العلوم الطبية ، وله فيها معجم سماه « الشذوذ الذهبية فى الالفاظ الطبية » • ومن النقلة الاوائل كذلك يوحنا عنحورى ، ويوسف فرعون وللدكتور محمد شرف معجم العلوم الطبية والطبيعية

وفى النصف الثانى من القرن الماضى ظهر فى كلية بيروت الامريكية ثلاثة من الاطباء الاجانب ، وكان لهم أثر فى تقدم المصطلحات الطبية : فقد ألف الدكتور كرنيليوس فنديك فى علم الامراض (الباثولوجية) بالعربية ، وألف جورج بوست فى الجراحة كتابه المسمى « المصباح الوضاح فى صناعة الجراح» وكتابا فى الاقرباذين والمواد الطبية ، وآخر فى مبادىء التشريح ، وعلم الصحة (الهيجين) والفسيولوجية • وألف يوحنا ورتبات كتبا مختلفة منها : التشريح والفسيولوجية ، وكتاب فى حفظ الصحة ، وله رسائل عديدة فى مواضيع طبية وكان لهذه المؤلفات المتنوعة بالعربية أثر واضح فى زيادة المصطلحات الطبية فجاء عملهم متمما لعمل العلماء المصريين

تأسست كلية الطب فى دمشق سنة ١٩١٩ ، وقامت على أنقاض كلية الطب التركية ، واختير لها أساتذة من العرب،تعاهدوا على الاضطلاع بمهمة تدريس الطب بالعربية ، وأخذوا يتدارسون المصطلحات التى جاءت فى كتب الطب القديمة ، والمصطلحات التى وردت فى كتب مدرسة طب القصر العينى ، وكتب الكلية الامريكية وغيرها • وعكف الاساتذة على وضع المصطلحات فى شكل مجمع لغوى كونوه من بينهم • واستطاعوا أن يؤلفوا فى الفروع المختلفة فى الطب • واشتهر منهم : الدكتور مرشد خاطر الذى ألف فى الجراحة ، والدكتور أحمد حمدى الخياط الذى الف فى علم الجراثيم ووضع للجراثيم على مختلف أجناسها وأنواعها مصطلحات عربية دقيقة ، والدكتور حسنى سبح وقد ألف فى الامراض الباطنية سفرا فى سبعة مجلدات ، وألحق بكل مجلد فهرسا بالمصطلحات الواردة فيه بالفرنسية والعربية

وكان للكلية منذ سنة ١٩٢٤ مجلة تسمى باسم الكلية أى « مجلة المعهد الطبى العربى » ، وقد انتشرت هذه المجلة فى البيئات العلمية العربية ، وكانت أداة فعالة فى نشر المصطلحات الطبية • وفى سنة ١٩٥٥ تألفت لجنة من الاساتذة : مرشد خاطر ، وأحمد حمدى الخياط ، ومحمد صلاح الدين الكواكبى ، فجمعت المصطلحات الطبية العربية ، ووضعوا نسخة عربية لمعجم « كلارفيل » وهو معجم للالفاظ الطبية صدر بعدة لغات

وقد أقر مجمع اللغة العربية مصطلحات علم الطب الباطنى ، ومصطلحات

←

علم الامراض ومتفرقاتها ، ومصطلحات علم الرمد ، ومصطلحات علم البكتريا، ومصطلحات الطب والتشريح ، ومصطلحات علم الصحة ، وبعض المصطلحات الطبية التى وردت فى القواميس العربية مع ما يقابلها باللغة الاوربية

فمن مصطلحات علم الطب الباطنى :

العصب المبعد ـ الشريان الحقى للعضلة السادة ـ الغدد العنبية ـ الباحة السمعية ـ الصفة الغدانية ـ الغدد المتكدسة ـ غرضا الانف ـ استهداف (أليرجيا) ـ سمحاق سنوخ الاسنان ـ ارتشاح نشوانى ـ الاعوار ـ عصية (باسيل) ـ الحلمات المتراسية ـ التخثر التاجى ـ القلب الرئوى ـ القلب المثلوث ـ النحيزة ـ التحساس العقارى ـ السلس ـ الحامى الجاسئة ـ التهاب كلوى كمبيبى قوامى ـ شلح العين ـ النرجسية ـ عثيان ـ العصاب ـ النكاف النخالية الوردية ـ الاسترواح الحيزومى ـ الدودة السوطية · ومن مصطلحات علم الامراض ومتفرقاتها :

الجوث ـ الصقع ـ القمه ـ تعصد ـ ميزع ـ فساد غيمى ـ شرفات الصمام مسماع تفريقى ـ الزحار ـ التهاب جوانى الشريان الساد ـ الحمى المطبقة ـ الانتاش ـ ورم وعائى دموى ـ جوانية الاوعية ـ التهاب الحنجرة الصرصرى ـ الخشاء ـ تكيس الكلوة القيحى ـ عقابيل الحمى ـ المجرى تحت المحفظة ـ الخلجان الحركى ـ حافة جرفية ـ عييبة ـ الضهياء (أو الضهواء) عقابيس منطقية

ومن مصطلحات علم الرمد :

محبة الحامض ـ لزوب ـ بعد استخراج السد ـ الكمش ـ الاغراب ـ الكمنة ـ الحرض النشوانى بالملتحمة ـ اللامقلة ـ اللخص ـ قطع قزحى عروى التهاب النسيج الخلالى بالحجاج ـ هلال تبعدى ـ الخزر ـ التندلة ـ الطرح ـ لا متصالبة ـ عتمة عجيرية ـ رأرأة ـ سمحاق ـ الضغط التناضحى ـ قوس الغضروف الضفيرى الوعائية العليا

ومن مصطلحات علم البكتريا :

عدسات شيئية لا لونية ـ اللاوقاية ـ التلازن ـ الهلام ـ خلايا بيض مشكلة النوى ـ مستنبتات ـ المرسخ ـ الزحير ـ شولة (أو ضمه)

ومن مصطلحات الطب والتشريح :

تبعيد ـ المغزل اللالونى ـ غدانى ـ حديبة مقربة عظم الفخذ ـ الجناح الفصيصى المخيخى المركزى ـ الشاخصة الجناحية للمصفاوية ـ البقيرى ـ الرنح (أو المخيخ) ـ الجريب ذو الهزمات ـ الوتار ـ الكييس المشيجى ـ اللفائفى ـ جمجمة قاربية ـ الشريان الوربى الاعلى ـ المعترض العنقى ـ الميكعة

ومن مصطلحات علم الصحة :

تحليل جراثيمى ـ نشاور زلالانى ـ تصنيف العسر ـ ماء غروانى ـ الفطر الشعرى الينبوعى ـ الصبب ـ تأريض الكهرباء ـ جراثيم الخبث ـ المكورات السبحية ـ الحامض الدردارى

٩ ـ اصطلاحات صناعية(١)

قطار	حروف	الباخرة	المحامى
قاطرة	أمهات	الرفاص	الطباعة
مطبعة	المعامل	السكة الحديدية	

(١) كان لقرارات مجمع اللغة العربية فى مصطلحات : الهندسة الميكانيكية وفن الطباعة ، والرسم والتصوير ، والموسيقى ، ما ساعد على تثبيت المصطلحات فى هذه الفنون

فمن مصطلحات الهندسة الميكانيكية التى أقرها المجمع :

الضغط المطلق ـ السعة ـ عارضة (جمعها عوارض) ـ عتبة ـ الرافعة المرفقية ـ لواحق المراجل ـ هشاشة ـ انبعاج ـ رجيع الفحم ـ مضغوطية ـ ذراع الادارة ـ درجة التحمية ـ ممطوطية ـ مضخة تغذيه ـ غازات الاحتراق ـ مضلع القوى ـ تقسية الفولاذ ـ باب التفتيش ـ طاقة الحركة ـ صمام أمن ذو رافعة ـ وقاد آلي ـ انطوائية ـ علم الهوائيات ـ جساءة ـ مشعب ـ الحركة التوافقية البسيطة ـ ملاسة ـ برمق (جمعها برامق) ـ نضاحة ـ مصيدة رطوبة بخار الماء ـ كباس ـ ملفاف ـ أجهاد التشغيل ـ نقطة الخضوع ـ مشوار ـ مواد طيارة

ومن مصطلحات فن الطباعة :

القير ـ قلم النقل ـ فن الطباعة الحجرية ـ مرقم الحجر ـ علامة المطابقة ـ اللك ـ ودك ـ طين نضيج ـ جر الرسم الحجرى

ومن مصطلحات الرسم والتصوير :

المقتضب ـ المنظور الجوى ـ المرشة ـ الخلفية ـ النهج الجزل ـ الرسم التمهيدى (أو الايجازى) ـ أطحل ـ الجلاء والقتمة ـ المدبج ـ الانشاء ـ المقابلة ـ الظل الدامس ـ الصبغ المتمائل ـ المنظرة ـ التلاؤم ـ الجافى ـ الشرقين ـ المنظر البرى ـ المنظور الخطى ـ الرسم القطعى ـ التسوية ـ الرسم المشيجى ـ المرقم ـ مدية التلوين ـ الحفر النسقى ـ الهدب ـ الخطوط الاخاذة ـ القلم المدمى ـ القلم الاسحم ـ الاشياع الصنفى ـ المجمل ـ رسم دراسى ـ المدعكة ـ خطة مرقاش ـ التأثر النظرى

ونشير هنا الى رسالة منشورة فى مصر سنة ١٩٤٥ للدكتور بشر فارس وفيها مصطلحات فن التصوير

ومن مصطلحات الموسيقى :

علامة التحويل ـ المسايرة ـ الائتلاف ـ أمهل ـ عاجل ـ أعجل ـ سريع ـ أونى ـ وان ـ المجاوبة الصوتية ـ الجهير الاول ـ الصور ـ الزمخر ـ المخصرة ـ الرماشة ـ صل المسحر ـ المحط ـ الصناجات ـ اليراعة ـ المخشخشات ـ الشياع ـ علامة التصعد ـ السلم القوى ـ العتب ـ التسلل ـ التحميل ـ الرسل ـ حامل المجسدة ـ ذو الكل (او البعد الذى

←

١٠ ـ اصطلاحات تجارية(١)

الرهونات	الشك المسطر	الفائدة	مسك الدفاتر
عمولة	الأستاذ	حساب النمرة	الزنجير
المقاول	اليومية	حساب جارى	الجرد
الرسمية	الخرطوش	العينات	سدد الحساب
الميرى	الصندوق	المضاربة	الاستهلاك
أسهم الشركات	القسيمة	صرر النقود	مساهمة
القراطيس	الامضاء	التحصيل	المتسبب
استحقاق	الذممات	الطرود	الأطيان
التحويل	الشركات	التصدير	
المشارطة	فتح اعتماد	الاعتماد	التصفية

بالكل) ــ الجواب (أو الصباح) ــ التوزيع ــ البعد الذى بالاربع ــ المحط المتوهم ــ الارنب ــ البدنية ــ الندى ــ العران ــ الصادح ..

وقد أتت لجنة مصطلحات الموسيقى بالمجمع بمجموعة من المصطلحات العربية وذكرت أنه ليس لها مقابل أفرنجى مثل : التوقيع ــ الركيزة ــ الرقمة ــ الانف ــ الجبهة ــ الذاقنة ــ الفرس ــ السند ــ قشة ــ القصعة

(١) أما المصطلحات التجارية ، فقد ذكرنا شيئا منها فى مصطلحات مجمع اللغة العربية ، فى مصطلحات قانون المرافعات المدنية والتجارية ، ومصطلحات القانون التجارى

ونشير هنا أيضا الى كتاب لاميل غالى نشره فى القاهرة سنة ١٩٥٧ بعنوان « المصطلحات التجارية الفرنسية » . وقد اثبت فيه ما جمعه من مصطلحات ومفردات وتعبيرات تجارية ، وأفرد الباب الثانى لقاموس تجارى فرنسى ــ عربى ، وضمن القسم العربى من الكتاب : مراسلات تجارية ، ومعاملات مالية . وأدرج المصطلحات فى موضوعاتها المتنوعة ، وذيل كلا منها ببعض المصطلحات.

ومن المصطلحات التجارية التى أوردها فى قاموسه :

افادة بالاستلام ــ شراء آجل (أى على الحساب) ــ مخالصة ــ أصول متداولة ــ وعاء الضريبة ــ أمر تحويل ــ ميزان تجارى غير موافق ــ تسليم ظهر السفينة ــ خام (أو قائم) ــ حلقة المضاربة ــ اعتماد مستندى ــ يقيد فى الجانب الدائن ــ ورقة تحت الخصم ــ حد الغطاء ــ نظام المشاركة فى الزراعة ــ طرح فى المزايدة ــ رصيد قابل للسحب ــ عمل رتيب ــ مجدد المزايدة ــ بصفة عابرة ــ يجر (أو يتمهل) ــ شهادة ايداع مستحقة السداد

عميل　　دين ممتاز　　المصاريف الهالكة　　المزايدة
العمولة　　الاقتصاد　　المال الاحتياطى　　المناقصة
تحويل　　الرهونات　　الساحب　　التسجيل
تسليف نقود　　الممارسة　　المسحوب عليه　　ميعاد
سحب (السندات) المحصول　　حامل السند　　استحقاق

هذه أمثلة من الألفاظ المولدة فى النهضة الأخيرة فى الادارة والسياسة والتجارة ، والعلم ، والصناعة (١) . وهى كما تراها عربية الأصل

---

(١) لم يشر جرجى زيدان الى مصطلحات مولدة فى علوم أخرى مثل : علم النبات والزراعة ، وعلوم الاحياء ، وعلم الحيوان ، وعلم الرياضة والهندسة ، وعلم الجغرافيا والجيولوجيا ، وعلم التاريخ ، والفلسفة .

أما النبات فقد عرف اليونان والعرب كثيراً مما ينبت فى بلادهم . ووصفوا أشكال النبات الخارجية وصفا دقيقا . وقد عرف من علماء النبات عند العرب : الغافقى ، وابن الصورى ، وابن البيطار . وكان لكثير من أطباء العرب بحوث فى مفردات الادوية نذكر منهم : الرازى ، وابن سينا ، وابن ماسة ، والبيرونى ، والادريسى

ومعرفة العلماء العرب بحياة النباتات كانت بسيطة ، فكانوا يجهلون الخلايا النباتية ، ودقائق اعضاء النبات وأنسجته ، وكيفية تغذية النبات، والمواد المعدنية التى يتغذى بها ، والظواهر الكيمائية التى تحدث فى حياته وفى نموه . وكذلك لم يعرف الانواع الكثيرة التى اكتشفت الآن ، وبخاصة ما عرف منها بعد اكتشاف مناطق وقارات كانت مجهولة .

والعلوم الزراعية تبدلت فى العصور الحديثة تبدلا كليا عما كانت عليه فى القديم ، وبخاصة بعد ان عرفت كيفية تغذية النبات بالاملاح المعدنية ، وبعد ان كشف عن الميكروبات والاختمار ، وحللت الاتربة والاسمدة . وعرفت أصناف الزرع والشجر ، وسلالات الدواجن ، ودراسة حياة الحشرات ، والميكروبات ، وأمراض النبات ، واخترعت الآلات الزراعية الحديثة .

وكانت مصر فى طليعة حركة نقل علوم النبات والزراعة الى اللغة العربية ، وألف العلماء فى مصر بالعربية ، وذلك فى عصر النهضة العلمية الحديثة . كان الدكتور « أنطون فيجرى » — وهو من الاساتذة الاجانب الذين درسوا فى مدرسة الطب فى القصر العينى — أول من ألف فى النبات ونقل كتابه الى العربية « الدر اللامع فى النبات وما فيه من الخواص والمنافع » ، وألف محمد ندى — وكان أستاذاً فى مدرسة الطب — كتابه فى الزراعة والنبات بالعربية ، وألف على رياض — وكان أستاذاً للصيدلة فى مدرسة الطب ، فى الاقرباذين والسموم بالعربية .

والاشتقاق ، وأكثرها كان معروفا فى اللغة ومدونا فى المعجمات من قبل لمعان قريبة ، مما استعملها له المولّدون أو شبيهة بها على نحو ما حصل فى العصر العباسي .. ولكل من هذه الألفاظ تاريخ يدل على ما تقلبت فيه

ولما كان النصف الثانى من القرن الماضى ، ظهرت فى لبنان حركة الترجمة الى العربية ، والتأليف بها ، فصنف كرنيليوس فنديك بالعربية كتابا فى النبات ، وجورج بوست فى مبادىء علم النبات بالعربية . وليوست كتاب بالانجليزية سماه « نبات سورية وفلسطين ومصر وبواديها » والحق بالكتاب فهرستا لما اشتمل عليه الكتاب من أسماء النبات، وهى نحو ألف وخمسمائة اسم ، ولكنه لم يفرق فى الاسماء العربية بين الصحيحة منها وبين العامية

ومما يستحق الذكر ان علماء من الاوربيين رحلوا الى البلاد العربية فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، ودرسوا نباتها وألفوا فيه كتبا بلغة أوربية . ولم يهمل بعضهم أن يسأل عن الاسماء العربية للنبات ، وأدرجه فى كتابه . ولكن جاءت الاسماء العربية التى دونوها خليطا من العربية الصحيحة والعامية منهم : « فورسكال » السويدى « وشوينغورت » الالمانى . ومنهم من نقل بعض الكتب العربية القديمة الى لغته الاوربية ، وحققوا أسماءها وذكروا ما يقابلها بالمصطلح العلمى الاوربى مثل « لكلير » الفرنسي الذى نقل مفردات ابن البيطار الى الفرنسية ، « وكليمان موله » الذى نقل الى الفرنسية كتاب الفلاحة الاندلسية لابن العوام

***

وظهرت فى مصر بعض معاجم فى النبات منها : بعض مصطلحات فى العلوم الزراعية وردت فى معجم العلوم الطبية للدكتور محمد شرف ، ومنها معجم بدفيان للنبات ، وهو فى عدة لغات ، ويؤخذ عليه أنه لم يفرق بين أسماء النبات العربية الصحيحة وبين العامية منها ، ومنها معجم أسماء النبات للدكتور أحمد عيسى ، وقد ذكر فيه اسماء النبات بالعربية والفرنسية واللاتينية ، وقد عنى خاصة بالنباتات الطبية . ونشر الامير مصطفى الشهابى فى دمشق سنة ١٩٤٣ معجما بالفرنسية والعربية سماه « معجم الالفاظ الزراعية » وله مقال عن « ألفاظ الآلات الزراعية » ومقالات فى مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق . ونشر محمود مصطفى الدمياطى رسالة فى مصر عن أسماء النباتات الزراعية

ومن العلماء الاجانب من درس نباتات البلاد العربية فى هذا القرن وألف فيها منهم : الدكتور ماكس ما يرهوف وله تحقيقات فى صحة اسماء نباتات طبية ، وكتاب فى شرح أسماء العقار لابن ميمون الاندلسي ، ومنهم « رينو » و « كولين » وقد شرحا كتاب «تحفة الاحباب فى ماهية النبات والاعشاب» لمؤلف عربى مجهول وكتاب « نباتات مصر » ألفته السيدة « تاكهلم » بالانجليزية وقام أحد المختصين فى المتحف الزراعى بالقاهرة بترجمته الى العربية . وجدير بالذكر ما يقوم به الدكتور أحمد رياض ، فى تثبيت

←

من الدلالات المتقاربة من زمن الجاهلية ، فالعصر الاسلامى ، فعصر التدهور الى هذا العصر

ولا ننكر ان بعض هذه المولدات كان فى الامكان الاستغناء عن توليدها

مصطلحات النبات والزراعة وزيادتها ، بنشره مع زملائه دائرة المعارف الزراعية ، والتى ظهر منها الجزء الاول فى القاهرة سنة ١٩٦٠

وقد أقر مجمع اللغة العربية بعض مصطلحات فى النبات أحيلت عليه من لجنة المعجم الوسيط ، وبعض مصطلحات خاصة بالنخيل أحيلت اليه من كلية العلوم بجامعة القاهرة ومصطلحات فى علوم الاحياء أقرتها لجنة علوم الاحياء والزراعة بالمجمع ، نذكر منها على سبيل المثال ، من مصطلحات علم النبات ، ما يلى : البادروح ـ الباذنجان ـ الثعرور ـ الثفاءة ـ الثلثلان ـ الحدق ـ الحرشاء ـ الحسل ـ الحسيناء ـ الشمر ـ الضرامة ـ الضفيوس ـ الضومران والضيمران (النعناع) ـ العرار ـ الطغية ـ العفار ـ العكاشة ـ العنصل ـ غرف ـ الفرقد (والفردق) ـ غرانق ـ الغاغة ـ قثد (خيار) ـ القرظ ـ الكباد ـ الكرنب

ومن المصطلحات النباتية الخاصة بالنخيل :

عذق ـ عوانة ـ بكور ـ بسر ـ دقل ـ حداد ـ الجبارة ـ جف ـ الجمار ـ الحشف ـ مجزع ـ كرب ـ أمان ـ أبلمه ـ قسب ـ القنو ـ رقلة ـ سيابة ـ شطبة ـ ثفروق ـ ودية

ومن مصطلحات علوم الاحياء :

انفصام ـ التجويف الحقى ـ تعاقب قمى ـ مستدق ـ ريحى الانتشار ـ جذور تنفسية ـ لاتزاوجى ـ اخصاب خلطى ـ متبادلة الوريقات الريشية ـ بزيرة معقوفة ـ أيض بنائى ـ حامل الامشاج المذكرة ـ اللامتساوى حسا ـ لامشيمى ـ أشنة رقية

أما علم الحيوان والحشرات ، فان ماورد فى كتب الحيوان العربية القديمة عن الحشرات قليل ، ومعظمه أدب ولغة ونكات وخرافات . وقد وبلغ هذا العلم فى عصرنا الحاضر درجة كبيرة من التقدم . كان محمد ندى ، من أساتذة القصر العينى فى أوائل القرن الماضى ، أول من ألف بالعربية فى الحيوان وألف جورج بوست بالعربية كتابا فى علم الحيوان ، وكان استاذ الجراحه والمواد الطبية والنبات فى الكلية الامريكية ببيروت والف أحمد فارس الشدياق كتاب « شرح طبائع الحيوان » وقد وضع فيه أسماء لبعض الحيوانات ، لا تزال مستعملة الى اليوم . ووضع بشارة زلزل اللبنانى كتابا مطولا فى علم الحيوان ، ولكنه لم يتمه

ونذكر بعض العلماء الاجانب الذين وضعوا فى لغتهم كتبا عن الحيوانات فى البلاد العربية منهم : « درسر » فى أسماء الطير ، و « هوبجلين » فى أسماء الحيوان وبخاصة الطير . ومنهم من نقل الى لغته المؤلفات العربية القديمة مثل « جياكار » الهندى الذى ترجم كتاب حياة الحيوان للدمرى

باستعمال ألفاظ كانت فى اللغة قبل هـذه النهضة ، ولها نفس الدلالة المطلوبة ، ولكن قضت الأحوال بالتجديد المستمر .. وهو من نواميس الحياة

وتوفى قبل أن يتم عمله

وألف أمين المعلوف كتابه « معجم الحيوان » بالانجليزية والعربية ويشمل المعجم على الاسماء العربية للحيوانات وتحقيقها علميا

وفى سنة ١٩٥٨ نشر فى القاهرة عطا ألله خلف الدوينى وحلمى ميخائيل بشاى كتابا بعنوان « دليل مصطلحات علم الحيوان » بالعربية ، وما يقابلها بالانجليزية ، ثم اشتقاق المصطلحات فى اليونانية واللاتينية مع ترجمة وتحليل مقاطع الالفاظ .. فجاء الكتاب فى نحو خمسة آلاف مصطلح

وقد أقر مجمع اللغة العربية مصطلحات فى علم الحيوان حولت من لجنة المعجم الوسيط الى لجنة علوم الاحياء والزراعة بالمجمع ، ومنها :

الاران ـ الاطوم ـ اليأمور ـ البخاق ـ البلح ـ البلم ـ البهار ـ البيدق ـ التخس ـ التفة ـ التلد ـ السمر ـ الثمثم الحذف ـ الحشنيب ـ الرتيلاء ـ الرخيم ـ السمع الازل ـ الزمج ـ السعدة ـ السهوم

ومن مصطلحات علم الحيوان عن الدوينى وبشاى :

لافمى ـ لاقمى ـ لاذراعيات ـ لاصبغين ـ شعاعى التماثل ـ ادمصاص ـ جناحى مصفوى ـ البرمائيات ـ راسمحبولات ـ راسصدر ـ الفكشوكيات ـ حولمريئى ـ القطعة الفوقدمية ـ فوقبلعوم ـ تحتبشرة ـ عصب تحتلسانى ـ بيتحجاجى ـ بينفقارى ـ الجلد شوكيات ـ حولنخاعى ـ قبلعضروفى ـ العضلة النصفغشائية ـ شبهسائل النقرة التحتمنسلية تحتلوحى ـ رسفقدمى ـ ثؤلولة ـ قصى حنجرى

أما الرياضيات والعلوم الهندسية ، فقد كان للمدرسة التى أنشئت فى مصر فى أول عصر النهضة العلمية الحديثة أثر واضح فى التأليف بالعربية أو فى نقل الكتب الرياضية والهندسية الى العربية . وكان لمحمود الفلكى، الذى تولى التدريس بمدرسة الهندسة ، فضل فى نقل العلوم الرياضية الى العربية ، وصنف فى الفلك والتقاويم والمقاييس . وألف محمد بيومى الذى كان استاذا فى مدرسة الهندسة ، كتبا فى الحساب ، والجبر ، وحساب المثلثات ، والهندسة الوصفية . واشتهر من مصححى الرياضة العارفين بمصطلحاتها ، ابراهيم الدسوقى

***

ولما كان النصف الثانى من القرن الماضى أخذت حركة التأليف بالعربية فى لبنان تظهر ، فألف فنديك بالعربية كتابا فى الاصول الهندسية ، والفلك ، وفى الرياضيات ، وفى الاصول الجبرية ، وفى أصول علم الهيئة ، وفى محاسن القبة الزرقاء

ونشر أمين المعلوف فى مصر سنة ١٩٣٥ كتابا سماه « المعجم الفلكى » بالانجليزية والعربية

←

وأكثر التوليد المذكور حدث تدريجا واعتباطا لأسباب متفرقة ومختلفة ، لايمكن تعيينها أو حصرها .. على ان بعضها وضع عن روية وقصد وهو قليـل . واما الأغلب فى هـذا التوليد أن يدخل اللغة تدريجا مثل تدرج

وقد أقر مجمع اللغة العربية مصطلحات فى علم الرياضة والهندسة وضـع ونشر حسن ذهنى مصطلحات فى كتابه «قاموس المصطلحات الرياضية» الذى راجعه دكتور نجيب غالى بخوم ــ وهو بالانجليزية والعربية ــ نذكر منها :

معداد ــ الاعداد المتحابة ــ كمية التحرك الزاوى ــ السناهيـات ــ الازاحة الزاوية ــ المشطوف ــ السكابول ــ الرحوية ــ المحور السينى أو الصادى أو العينى ــ المعامل (فى الشام : مسمى) ــ الاحداثيات ــ الضرب بالتعارض ــ الملفاف الفرقى ــ مطيل ــ المجسم الناقص ــ المتسلسلة الاسية ــ الدالة ــ المترافقتان التوافقيتان ــ مأخوذات ــ مستوى الخمود ــ منساخ ــ ذات الربع (او الربعية) ــ زاوية نقية ــ شاخص ــ الجسوء البسيط ــ الارقال ــ المزواة ــ العجلة المستعرضة ــ اتزان لا مستقر ــ المعلاة (أو قيد) ــ مرفاع ترسى . أما الجغرافيا والجيولوجية ، فقد ظهر فى مصر من أول النهضة العلمية الحديثة من ألف بالعربيـة فى الجغرافيـة والجيولوجية ، فقد نشر محمد ندى كتابا بالعربية فى الجيولوجية ، ووضـع محمود الفلكى خريطة للقطر المصرى ، كما وضعت الكتب المختلفة لتدريس الجغرافية بالعربية

ولما أخذت لبنان فى وضع الكتب بالعربية ، فى القرن الماضى ، ألف فنديـك فى الجغرافية الطبيعية ، وفى الجيولوجية بالعربية

وللامير مصطفى الشهابى مقالات مختلفة منها : مقال فى « ألفاظ الغيـوم » و « مصطلحات جيولوجية »

وقد أقر مجمع اللغة العربية مصطلحات الجيولوجية ، ووضع ما يقابلهـا بالانجليزية ، ومنها :

صخر الاديم ــ سيف القارة ــ علم نشأة الكون ــ علم الكونيات ــ علم البلوريات ــ القرارة ــ جدة قاطعة ــ التنبط ــ أحفورة (جمعها : أحافير) ــ علم نشأة الارض ــ علم الارض (جيولوجية) ــ علم شكل الارض ــ علم طبيعة الارض ــ توازن القشرة الارضية ــ اللقطة ــ علم الحفـريات النباتيـة ــ علم الحفريات (أو علم الاحياء البائدة) ــ علم الحفريات الحيوانية ــ علم الجغرافية القديمة ــ علم وصف الصخر ــ علـم الارض الطبيعى ــ مدة جازعة ــ علم الحفريات الطباقية ــ علم طبقات الارض ــ علم بناء الارض ــ التختربه ــ علم تشكل الصخور . أما فى التاريخ والفلسفة ، فقد أقر مجمـع اللغة العربية مصطلحات فى التاريخ وقابلها بالانجليزية ومنها : المجالد ــ الطائفة الحرفية ــ العاهل ــ الديوان العالى (أى البرلمان) ــ القسوسة ــ الرفادة ــ تنظيم المحاربين ــ العصبية

كما أقر المجمع مصطلحات الفلسفة ووضع ما يقابلهـا بالفرنسـيـة

العادات والآداب فى تولدها ودخولها فى جسم الأمة . ومن أوضح الأمثلة على ما تتقلب فيه الألفاظ من المعانى أو تتدرج فى ابداله ، ما أصاب نعوت التفخيم من التغيير العجيب بانتقالها من عصر الى عصر .. فالأديب ، والألمعى ، والفاضل ، والعلامة ، والفهّامة ، وحضرة ، وجناب ، يستخدمها الكتّاب اليوم لغير ما كان يستخدمها له الأقدمون .. وقد يكون الفرق بعيدا بين المعنيين . فالأديب مثلا مشتقة من الأدب ، وهو يشمل معظم ضروب العلم .. وقد استعملها المولدون فى العصور الاسلامية الوسطى لما نستعمل له اليوم لفظ العالم الفاضل ، وما زالت دلالتها تتصاغر حتى صاروا يستخدمونها لأصغر خدمة الأدب . والحضرة ، والجناب كانتا من نعوت الملوك والأمراء ، فأصبحتا تستخدمان لأحقر العامة . وقس على ذلك سائر الألقاب .. وشأن هذه النعوت فى حياتها شأن الرتب وأدوارها ، فلفظ « بيك » مثلا معناه الأمير ، أو الملك .. وكانوا يسمون به كبار الأمراء والقواد ، ثم جعلوه لقبا ملكيا يمنح لبعض الوجهاء ونحوهم ممن يأتون عملا عظيما ، ثم صار الى ما تعلم . ويقال نحو ذلك فى سائر الرتب والنعوت ، فهى فى صعود وهبوط وتولد ودثور فى دلالتها ، شأن الطبيعة فى كل أحوالها

وبالانجليزية ومنها :

تكيف ـ اللاأدرية ـ المقدم (فى القضية الشرطية) ـ التشبيه ـ نقيضة ـ الدليل الغائى ـ الخصيصة ـ (أو المخصص أو المشخص) ـ التصورية ـ الحتمية ـ الجزمية ـ (أو الدوجماطيقية) ـ القياس المضمر ـ الجذب ـ مذهب اللذة ـ الهوية ـ المالايعرف ـ اللاتناهى ـ علم مناهج البحث (أو تنميط) علم الوجود ـ مذهب وحدة الوجود ـ الادراك الحسى ـ قياس الخلف ـ مذهب الشكاك (أو الارتيابية) ـ مذهب التلفيق ـ الاسم المشكك ـ الاسم المتواطىء ـ مذهب المنفعة

لغة الحكومة المصرية

فى دواوينها

لا غرو اذا أفردنا للغة الحكومة المصرية بابا خاصا لاختصاصها بألفاظ وتعبيرات لا مثيل لها فى اللغـــة الفصحى ، وفيها ما لايمكن تطبيقه على قاعدة ، ولا الرجوع به الى قياس .. ففى مخاطبات الدواوين وصور الأوامر العالية من الألفاظ الغريبة ، والتراكيب الركيكة ما هو غريب فى بابه ، وقد بلغ ذروة الغرابة فى أواسط القرن الماضى قبل نضج هذه النهضة

وأصل الركاكة والغرابة فى لغة الدواوين ، يرجع الى عصر التدهور فى زمن الأمراء والمماليـــك .. وطبيعى ان اللغة تحيا بحياة أهلهـــا ، وتموت بموتهم ، وتزهو بزهوهم ، وتنحط بانحطاطهم .. ففىعصرأولئك الأمراء ، بلغت مصر من التدهور فى السياسة والادارة والآداب والعلوم ما لم يبق بعده غاية .. فلم ينقض القرن الثامن عشر حتى صارت لغة الكتابة أشبه شىء بلغة العامة لركاكة عبارتها مع ما فيها من الألفاظ الأعجمية ، والعامية

فدخل الفرنسيون مصر فى أواخر القرن المذكور ، ولغة العلماء تكاد تكون عامية ، واليك أمثلة من كتاب نشره علماء مصر ومشايخها أثنـــاء احتلال الفرنسيين ، قالوا :

« نعـرّف أهل مصر من طرف الجعيدية وأشرار الناس حركوا الشرور بين الرعية والعسكر الفرنساوية ، بعد ما كانوا أصحابا وأحبابا بالسوية ، وترتب على ذلك قتل جملة من المسلمين ، ونهبت بعض البيوت ، ولكن حصلت ألطاف الله الخفية ، سكنت الفتنة بسبب شفاعتنا عند أمير الجيوش بونابرته ، وارتفعت هذه البلية لأنه رجل كامل العقل ، عنده رحمة وشفقة على المسلمين ، ومحبة الى الفقراء والمساكين ، ولولاه لكانت العساكر أحرقت جميع المدينة ونهبت جميـــع الأموال وقتلوا كامل أهل مصر ، فعليكم أن لا تحركوا الفتن ، ولا تطيعوا أمر المفسدين ، ولا تسمعوا كلام

المنافقين ، ولا تتبعوا الأشرار ، ولا تكونوا من الخاسرين سفهاء العقول الذين لايقرأون العواقب .. »

وقد ذكرنا مثالا من كلام الجبرتى مؤرخ تلك الحوادث فى كلامنا عن اللغة العربية فى عصر التدهور

ولما جاء الفرنسيون الى مصر ، كان فى جملة حملتهم جماعة من التراجمة ليتوسطوا بينهم وبين الأهالى والعلماء ، ويترجموا لهم المنشورات ، والمراسلات ، ونحوها .. والظاهر أنهم كانوا من غير أبناء اللغة العربية .. فكانوا اذا ترجموا عبارة صاغوها فى قالب افرنجى ، وما لم يجدوا له لفظا عربيا تركوه بلفظه الافرنجى أو وضعوا له لفظا عاميا

فلما أفضت الولاية الى محمد على مؤسس العائلة الخديوية ، وأخذ فى انشاء الدواوين ، لم يكن له غنى عمن يترجم بين حكومته وحكومات دول أوربا ، فاستخدم التراجمة وفيهم جماعة من أهل المغرب وغيرهم ، واللغة لاتزال فى انحطاطها وركاكتها ، والذين يعرفون أساليبها ويحفظون ألفاظها قليلون جدا .. وخاصة بين الذين استخدموهم فى الدواوين للكتابة أو الترجمة . وقد رأيت مثالا من لغة المشايخ والعلماء ، وقد قضوا أعواما طوالا فى الأزهر ، وقرأوا كتب العلم والفقه .. فكيف بكتّاب الدواوين والتراجمة ..

ومما زاد أسباب الفساد فى اللغة ان الحكومة بدأت فى انشاء الدواوين وترتيب مصالح الحكومة والقضاء وغيرها ، قبل اهتمامها بتعليم النـاس وتهذيبهم وترقيـة أفكارهم واصـلاح شأنهم .. فدخل فى العصر الأول لحكومة محمد على كثير من الألفـاظ والتراكيب العاميـة ، ثم تنوعت وتكيّفت على أسلوب خاص وأوضاع خاصة وألفاظ خاصة .. وعرفت بلغة الدواوين

فلما استنار الناس على أثر نشر الصحافة ، ونبغ الكتّاب ، والمنشئون فى أواخر القرن الماضى ، انتظم جماعة منهم فى مناصب الحكومة الكتابية ، فنقحوا كثيرا من تلك الغرائب ، ولا يزالون عاملين على تنقيحها

ومع ذلك فلا يزال فيها من الألفاظ المولّدة ، والدخيلة ، وضروب التركيب ما هو بعيد عن لغة سائر الكتّاب ، حتى فى معانى الألفاظ العربية المستعمل عند كليهما ، وهاك أمثلة كثيرة الشيوع ..

الفاظ ديوانية	معناها	الفاظ ديوانية	معناها
مطاعنة	شكوى	معروض	(عرضحال)
براءة الساحة	تبرير	ناحية	قرية
بالقضاء والقدر	عرضا	عزبة	دسكرة
اتضحت اداتته	ظهر ذنبه	ابعدية	مزرعة
صرف	دفع	نزل	ادارة تقديم المؤن
عريضة	براءة	انجرارية	ادارة المراكب
طاقم	بحرية مركب	مصروفات	نفقات
مفتعل	مزوّر	خوجا (سفينة)	كاتب
ظهورات	موقت	تعلق فلان	خاصته
نشاوى	جديد	أفرج عنه	أطلق سراحه
اضمحل حاله	صار فقيرا	مستند	سند
مباشرة	رأسا	جبر	كسر
دولاب	خزانة	نفق	مات
استيداع	راتب يعطى بعد الرفت	مراسلة	خادم عسكرى
عجوزات	متأخرات المال		

وغير ذلك كثير من الألفاظ العربية وغير العربية .. وقس عليه التراكيب والتعبيرات الخاصة مثل ادخال « لم » على فعل المضارع كقولهم : « لم أتى » بدلا من « لم يأت » وصوغ الفعل المجهول من المصدر وفعل الصيرورة على نحو ما فى اللغات الافرنجية كقولهم : « صارت كتابته » بدلا من « كُتب »

وقد ولّدوا صيغة خاصـــة للفعل الماضى تركب من المصـــدر ، ولفظ «معرفة» فيقولون : «كتب الكتاب بمعرفة فلان» بدلا من قولنا : «فلان كتب الكتاب» وربما ركبوا هذه العبارة مع التى قبلها ، فقالوا : «صارت كتابة الكتاب بمعرفة فلان» وقس على ذلك .. ناهيك بركاكة التعبير ، وان لم تخالف قواعد النحو أو الصرف مما يضيق عنه المقام وقد أغضينا عنه لشهرته .. على ان كتّاب اللغة وعلماءها يعدون تلك الألفاظ وأمثالها من قبيل الاصطلاحات العامية واستعمالها خطأ ، وقد أخذت الحكومة فى تنقيحها بالتدريج كما تقدم

الخلاصة

يتبين للقارىء مما ذكرناه عن أحوال اللغة العربية فيما توالى عليها من العصور والأدوار فى أثناء نموها وارتقائها من زمن الجاهلية الى هـذا اليوم ، انها سارت فى كل ذلك سير الكائنات الحية بالدثور والتجدد المعبر عنه بالنمو الحيوى .. فقد تولّدت فى العصر الاسلامى ألفاظ وتراكيب لم تكن فى العصر الجاهلى ، وتولّدت فى العصور التالية ما لم يكن فيما قبلها . وأخيرا تولّدت فى نهضتنا الأخيرة من الألفاظ والتراكيب ما لم يكن معهودا من قبل .. فالوقوف فى سبيل هذا النمو مخالف للنواميس الطبيعية ، فضلا عن انه لايجدى نفعا .. فاللغة كائن حى نام خاضع لناموس الارتقاء ، ولا بد من توالى الدثور والتولد فيها .. أراد أصحابها ذلك أو لم يريدوا . تتولّد ألفاظ جديدة وتندثر ألفاظ قديمة على مقتضيات الأحوال لحكمة شملت سائر الموجودات

***

وقد آن لنا أن نخلّص أقلامنا من قيود الجاهلية ، ونخرجها من سجن البداوة .. والا فلا نستطيع البقاء فى هذا الوسط الجديد . فلا ينبغى لنا احتقار كل لفظ لم ينطق به أهل البادية منذ بضعة عشر قرنا ، لأن لغة البرارى والخيام لا تصلح للمدن والقصور ، الا اذا ألبسناها لباس المدن.. فلا بأس من استعمال الألفاظ المولّدة التى لايقوم مقامها لفظ جاهلى ، لأن معناها لم يكن معروفا فى الجاهليـــة ، أو التى كان لهـا لفظ وترك فأصبح غريبا مهجورا .. فاستعمال اللفظ المولّد خير من احيــاء اللفظ الميت ، واستبقاء المولود الجديد أولى من احياء الميت القديم .. واذا عرض لنا تعبير أجنبى لم تستعمل العرب ما يقوم مقامه لابأس من اقتباسه . وفى

اعتقادنا ان اطلاق سراح الأقلام على هذه الصورة ، يكشف لنا عن جماعة كبيرة من أرباب القرائح .. يقعدهم عن الاشتغال بالأدب خوفهم من الوقوع فى خطأ لغوى أو بيانى يؤاخذون عليه .. وليست فيهم شجاعة أدبية تحملهم على عدم المبالاة بالنقد .. اذا كان فيما يكتبونه فائدة .. والخطأ اللغوى لا يقلل شيئا من قدر الكاتب ، لأن الاحاطة بكل أوضاع اللغة وقواعدها وشواردها لايتأتى الا لقليلين

***

على اننا لا نقول فى هذا الاطلاق نحو ما يقوله الافرنج فى لغاتهم ، لأن شأننا فى لغتنا غير شؤونهم فى لغاتهم .. فلا بد لنا مع هـذا الاطلاق من الرجوع الى القواعد العامة والروابط الأساسية ، فلا نفسد اللغة بألفاظ العامة وتراكيبهم .. ولا نكثر من الدخيـل حتى تصير لغتنـا مثل اللغة التركية العثمانية التى أصبحت لكثرة ما أدخلوه فيها من الألفاظ العربية والفارسـية والافرنجية ، لا مثيـل لها فى العالم الا اللغة الهندسـتانية (الاوردية) التى يكتب بها الهنود جرائدهم وكتبهم .. أما اللغة العثمانية ، فاذا عدت ألفاظها باعتبار اللغات المؤلفة هى منها ، كان نحو ٧٠ فى المائة من الألفاظ العربية و ١٥ فى المائة من الفارسية ، و ٥ فى المائة من اللغات الافرنجية ، وعشرة فى المائة فقط من الألفاظ التركية الأصلية ، ويقال نحو ذلك فى اللغة الاوردية ، وفى اللغة المالطية

***

أما اللغة العربية ، فلا بد من المحافظة على سلامتها والاهتمام باستبقائها على بلاغتها وفصاحتها ، وخاصة بعد أن أخذت تنهض الى أرقى ما بلغت اليه فى ابان شبابها .. فلا يستحسن الاستكثار فيها من الدخيل والمولد ، وانما يؤخـذ منهما بقدر الحاجة ، على أن نعد ذلك الاقتباس نموا وارتقاء ، لا فسادا وانحطاطا

على اننا نعدّ ما كتبناه فى هذا الموضوع خواطر أبديناها ، وفتحنا بها باب البحث . وأما استيفاء الكلام فى تاريخ اللغة وألفاظها وتراكيبها فلا يسعه الا المجلدات الضخمة .. فنتقدم الى أئمة اللغة ، وكتّابها ، وعلمائها أن يزيدونا من هذا الموضوع خدمة لهذه النهضة ..



فهرس

